


الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

المفاهيم النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص : لسانيات النص

من إعداد الطالبة : **تحت إشراف :**

بالرقي نادية أ،د بلقاسم مالكية

لجنة المناقشة

أ.د/ بلقاسم مالكية، (جامعة ورقلة) ....مشرفا

د/ حسين زعطوط ،(جامعة ورقلة) ....رئيسا

د/حسين دحو، (جامعة ورقلة) ....مناقشا

السنة الجامعية:2014/2013

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث

أستاذي المشرف بلقاسم مالكية الذي أعانني بتوجيهاته في إتمام هذا البحث

على هذه الصورة، إلى كل من علمني حرفا و ساهم في تكوين شخصيتي

العلمية إلى كل من ساهم في إنتاج هذا البحث من بعيد أو قريب أشكرهم

جميعا و أجرهم على الله

الإهداء

إلى عيون أرى فيها فرحتي وبسمتي إلى جنة فوق الجنة أمي الحبيبة الغالية

إلى عرق لم يجف في سبيل راحتنا أبي العزيز الغالي

إلى أخواتي و إخوتي الأعزاء

إلى أساتذتي الكرام و إلى كل طلبة العلم

أهدي ثمرة جهدي

الملخص:

في دراستنا لكتاب دلائل الإعجاز وجدنا المصطلحات النصية التالية: مصطلحات عامة متعلقة (بالنص، المبدع، المتلقي)وهي"النظم، التعليق"، " القصد، حسن التخيير، الابتداء"، "المعرفة بعلم النحو، تحقيق القول، الأريحية، تحصيل المزية، نقد الكلام، المعنى ومعنى المعنى، الذوق والمعرفة، الغموض والتعقيد" ومصطلحات إجرائية متعلقة باتساق النص وانسجامه وأهمها:"التقديم والتأخير، الحذف، الفصل والوصل"، وهي مصطلحات متعلقة بجانب الصياغة والتلقي معا مما يجعل نظرية النظم تصلح لأن تكون نظرية للنص العربي.

Résumé:

Dans notre étude sur le livre Dalail Al Iadjaz trouvé le texte suivant:

Conditions générales relatives à (texte، créatif، récepteur)، un "composition، commentaire" "Intention، Hassan absence de contraintes، de mise en route»، «la connaissance que la connaissance، la réalisation par exemple، la générosité، la collecte avantage، la critique du discours، le sens et le sens du sens، le goût et la connaissance، l'ambiguïté et la complexité"

Et les modalités de procédure relatives à la compatibilité et de la cohérence de texte، y compris: «Présentation et retard، suppression، interfaces chapitre."

Il est à côté des termes liés à l'élaboration et recevez faisant ensemble la théorie des systèmes adaptés à la théorie du texte arabe.

Abstract:

In our study on the book Dalail Al Iadjaz found the following text:

General terms relating to (text، creative، receiver)، a " composition، commentary"، "Intent، Hassan absence of constraints، Getting Started،" "knowledge as the knowledge، achieve say، generosity، collecting advantage، criticism of speech، the meaning and the meaning of meaning، taste and knowledge، ambiguity and complexity"

And procedural terms related to compatibility and consistency of text، including: "Presentation and delay، deletion، Chapter interfaces."

It is beside the terms related to the drafting and receives together making systems theory suitable to be the theory of the Arabic text.



يعد عبد القاهر الجرجاني من بين العلماء العرب الذين أسهموا في مجال التنظير النصي وقد تبلور هذا في نظرية النظم التي طرحها في كتابه دلائل ا لإعجاز، و تَبرز مكانته في أنه جمع بين علوم عدة كالنحو و البلاغة والمنطق، وغرضه في ذلك واحد وهو خدمة النص القرآني وبيان إعجازه مستعينا في ذلك بالنص الشعري و النثري من هنا جاءت الفكرة لدراسة كتاب دلائل الإعجاز وما يحويه من المفاهيم النصية والمصطلحات اللغوية التي لها علاقة مباشرة في فهم النص وآلية إنتاجه ودرجة تلقيه وكذا دراسة مدى اهتمام الجرجاني بالأسس التي تقوم عليها العملية النصية من (متكلم، نص، متلقي) وتفاعلها فيما بينها باعتبار أن البلاغة والنحو أداتان من الأدوات الإجرائية لفهم النص ونسج الكلام عنده .

و في هذا السياق يندرج عنوان دراستي"المفاهيم النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني" كمقاربة بين نظرية النظم وعلم النص.

وهذا لأسباب منها:

1) البحث عن لسانيات نصية عربية مختصة بالنص العربي .

2) واختيارنا " لمفاهيم النص" باعتبارها إشكالية نود طرح حلولها ب التقريب بين مفهومها الغربي ومفهومها العربي.

3) اهتمام نظرية النظم بالمفاهيم النصية المتعلقة بالنظم،الناظم،المستقبل(السامع،القارئ).

4) دراسة لفكر عبد القاهر الجرجاني باعتباره زاوج بين النحو و البلاغة في دراسة النصوص، وكذا الفكر الفذ في منهج كتابه ولغته الراقية و غيرته على اللغة و تفقهه فيها.

أما الدراسات السابقة حول عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز فهي متعددة وتناولت من زوايا عدة شأنها شأن أي نص تراثي وفيما يخص موضوعنا فهناك كتب عنت بالبحث في مجال علم اللغة النصي واكتفت بالإشارة إلى مجهودات الجرجاني في صفحات معدودات ونادرا ما نجد دراسة تفردت لهذا الغرض إلا في مقال للأستاذة سمية ابرير بعنوان مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز وتشير إلا ذلك في مقدمة مقالها " فالمطلع غلى دلائل الإعجاز في علم المعاني لصاحبه الجرجاني يجد فيه نقاط تقاطع في كثير المفاهيم التي جاءت في لسانيات النص الحديثة "[1]

إلا أننا نجد اضطراب وتناقض في إيرادها لمصطلحات مهمة فمثلا تذكر الباحثة في

[1] مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز(مقال)، سمية ابرير، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة كلية الآداب ،العدد التاسع ، 2011، ص168.

ما يخص مصطلحي الانسجام والاتساق المخطط التالي[1]:

السياق اللغوي (السبك) ⟵ cohésion (الانسجام)

على مستوى سياق الحال (الحبك) ⟵ Cohérence (الاتساق)

وتورد في موضوع آخر "التعليق الحبك أو (الانسجام: Cohérence)"[2]

وقد يعز ى هذا إلى اختلاف الدارسين العرب حول إيجاد مقابلات لمثل هذه المصطلحات ولا بأس أن نستعرض كتب وأعمال بعض المؤلفين الذين نوهوا لدور الجرجاني وسبقه في مجال الدراسات النصية والتأسيس لها ومن بينهم:

1) تمام حسان:حيث يقول "فلا نكاد نجد في تراثنا العربي من يعنى بجانب الصياغة إلا عبد القاهر الجرجاني الذي اقترح للصياغة أربع مراحل هي: النظم والبناء والترتيب والتعليق"[3]

كما تجدر الإشارة أن الذي أخذ على عاتقه الاهتمام البالغ بعلم اللغة النصي هو الباحث حسن بحيري الذي ترجم العديد من الكتب الألمانية إلى العربية .

2) إبراهيم محمود خليل [4]:عقد فصلا بعنوان التماسك النحوي عند عبد القاهر الجرجاني تناول فيه مباحث مثل التقديم والتأخير والحذف .....الخ

إلا أننا وجدنا هذا الفصل بعينه قد أعاده في كتاب له بعنوان" في نظرية الأدب وعلم النص" تحت عنوان" النظم في ضوء علم النص ".

3) صلاح رزق:يتحدث في كتابه "أدبية النص"عن دور الجرجاني في طرح قضية الإعجاز"وأخيرا يطمئن عبد القاهر إلى الشيء المطرد في جميع آيات القرآن ويتعلق به إعجازه هو بلاغة نظمه الخاص والذي يربطه بعلم النحو "صحة البناء"ومعاني النحو"المزية والتفاوت"[5]

4) صبحي إبراهيم الفقي:حاول الباحث أن يحدد بدوره معايير تحصر المفهوم الاصطلاحي للنص، مشيرا إلى أهمية الدراسة النصية ودور البلاغة والنحو العربي اللذين فيهما منطلقات المعالجة النصية كالإيجاز، الفصل والوصل وتعد نظرية النظم وعي بالدراسة النصية

---

[1] المرجع نفسه، ص172.
[2] المرجع نفسه، ص174.
[3] النص والخطاب و الإجراء، روبرت دي بوجراند،ترجمة تمام حسان عالم الكتاب، القاهرة، ط2، 2007، ص5.
[4] ينظر:في اللسانيات النصية ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط1، 2007، ص228ومابعدها.
[5] أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)، صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط 2002، ص37

فالمصطلحات التي استعمالها الجرجاني في كتابه الدلائل قريبة من المصطلحات في علم اللغة النصي ومنها "الاشتراك والتضام والتعلق والمشاكل والمناسبة وهي تقترب من مصطلح التماسك "[1]

5) صالح بلعيد:من أهم الدارسين الذين أعطوا مكانة لما تركه الجرجاني فنجده خصص كتاب بعنوان نظرية النظم وكتاب أخر بعنوان (التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة).

6) جميل عبد المجيد:ذكر في كتابه (بلاغة النص) مدخل نظري ودراسة تطبيقية تحدث عن دور البديع في اللسانيات النصية ودور نظرية النظم واستخلص أهم الجوانب النظرية التي أوردها الجرجاني فيما يخص النظم وحاول تطبيقاتها على قصيدة (الطفيل الغنوي).

كل هذا جعل إشكالية بحثنا تتمثل في البحث عن ماهية النظم وعلاقته بلسانيات النص والبحث في المصطلحات المتعلقة ب:(النظم، المتلقي، المبدع) والتي يمكن أن نطرحها في التساؤل التالي:

- هل يمكن اعتبار نظرية النظم وما احتواته من مفاهيم ومصطلحات أن تكون نظرية للنص العربي ؟

ومن خلال هذه الإشكالية تبينت لنا معالم هيكل البحث وخطته التي ابتدأتها بمقدمة ثم تمهيد وتلاه فصلين، وخاتمة.

أما التمهيد ركزنا الحديث فيه عن المفاهيم النصية المهمة عند الغرب و العرب لتكون لنا مدخلا نهتدي بضوئه لأهم المباحث النصية في الدلائل.

أما الفصل الأول والمعنون ب: "المفاهيم النصية العامة "فكان في ثلاث ة مباحث فالأول "المفاهيم النصية المتعلقة بالنظم " تحدثنا فيه عن نظرية النظم وعلاقتها بالنص واهم المفاهيم التي تحددها والثاني "المفاهيم النصية المتعلقة بالناظم "ذكرنا فيه أهم المصطلحات المتعلقة بالمتكلم والثالث "المفاهيم النصية المتعلقة بالسامع و القارئ (المتلقي)" الذي تحدثنا فيه عن أهم المصطلحات المتعلقة بالمتلقي.

أما الفصل الثاني المعنون ب:"المفاهيم النصية الإجرائية" يتناول مباحث تطبيقية تمثلت في "التقديم والتأخير" و"الحذف" و"الفصل والوصل" مبرزين دورها في تماسك النص

[1] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، 2000، ج1، ص249

وانسجامه.

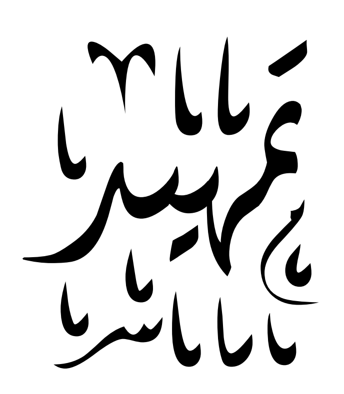
وقد استدعى البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي باعتباره الأنسب لحل إشكالية بحثنا بحيث سنصف وسنتتبع مادة الكتاب وذلك بالاكتفاء ببعض المصطلحات والجزئيات للوصول إلى قانون عام حول مفهوم النص لدى الجرجاني فهذا دور المنهج الاستقرائي كما أشار إليه عبد الرحمان بدوي في كتابه مناهج البحث العلمي (فمسألة الضمان التي تضمن لنا الانتقال من الحالات الجزئية المشاهدة إلى وضع القانون العام) وسنفصل القول فيها بالإضافة إلى بعض الأدوات الإجرائية المساعدة كالوصف وتحليل والمقارنة والنقد.

وقد استندنا في بحثنا لجملة من المصادر و المراجع أهمها دلائل الإعجاز، ونظرية النظم لصالح بلعيد، لسانيات النص لمحمد خطابي، والمصطلحات الأساسية لنعمان بوقره، والتلقي و الإبداع لمحمود درابسة، وظاهرة الحذف لطاهر سليمان حمودة، ودلالات الواو لعيسى شحاتة عيسى...وغيرها من الكتب التي أفدنا منها إلا أنها واجهتنا بعض الصعوبات في التنقيب عن المصطلحات التي لم تكن بهذا الوضوح والترتيب والسهولة والتمركز في موضع معين من الكتاب بل جاءت أشتات نظرا لطريقة التأليف عند الجرجاني.

وفي الأخير ومن باب الاعتراف لأهل الفضل علينا أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف"مالكية بلقاسم"على نصائحه وتوجيهاته، كما أشكر كل أساتذتي المحترمين على تواضعهم في سبيل خدمة العلم جزاهم الله كل خير و جعل من بحثنا هذا علما نافعا والله من وراء القصد و الحمد لله رب العالمين.

نادية بالرقي

ورقلة في:19 ماي 2014


تمهيد

المفاهيم النصية:

ونقصد بها كل المفاهيم المتعلقة بالنص والمنتج و الملتقي و التي أجملها دي بوجراند في سبعة معايير رئيسية وهي:[1]

السبك cohésion: ويتمثل في الجانب السطحي و الترابط الرصفي للعناصر ويتحقق هذا بأمور منها (التكرار الألفاظ الكنائية ، الأدوات الإحالة المشتركة و الحذف والروابط)

الالتحامcohérence: : وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي و استرجاعه و تشمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية و العموم والخصوص و يتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص .

القصد intentoinality: ويتعلق بموقف منشئ النص و غرضه و غايته التي يود الوصول إليها من خلال نصه.

القبول acceptablity: وهو يتضمن موقف مستقبل النص في التمييز بين النص واللانص.

رعاية الموقف situationality: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بوقف سائد يمكن استرجاعه.

التناصintertextuality: يتضمن العلاقة بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة.

الإعلامية informativity: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية.

أما صبحي إبراهيم الفقي: فإنه يرى أن المفهوم الاصطلاحي لنص لا يخرج عن أحد هذه المعايير: [2]

1) كون النص مكتوبا أو منطوقا أو كليهما
2) مراعاة الجانب الدلالي
3) مراعاة التحديد الحجمي (طول النص)

---

[1] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند ، ص103-105، بتصرف

[2] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط 1، 2000 ص29 .

4) مراعاة الجانب التداولي
5) مراعاة جانب السياق وهو متعلق بالمعيار السابق
6) مراعاة جانب التماسك ، وهو أهم معيار يقوم عليه تحليل النص
7) مراعاة الجانب الوظيفي النص
8) مراعاة التواصل بين المنتج و لمتلقي
9) الربط بينه و بين مفاهيم تحويلية مثل الكفاءة والأداء .. وغيرها
10) إبراز كونه مفيدا

- وكل هذه المعايير جاءت كمحاولة لحصر مفهوم النص الذي لم يُتوصل لاتفاق حول ماهيته وهذا لتعدد الاتجاهات و الزوايا التي تناولت موضوع النص

- وبالتالي تعد المعايير السابقة نقاط أساسية في محاولة دراسة أي نص .

ظهرت لسانيات النص كنقد للنظريات اللغوية التي أهملت المعنى فالاهتمام بالجوانب الشكلية في التحليل اللغوي و الإغراق في جانب الوصف و التحليل " خاصة النحو التحويلي لتشومسكي في مراحله الأولى أعاد إشكالية اللفظ و المعنى بقالب جديد في حيز الدراسات الحديثة إلا أن هذا سرعان ما تم استدراكه في النظريات الغربية القائمة عل ى النقد و البناء وذلك بإدخال عناصر دلالية و تداولية متشعبة وأعيد إلى العناصر النحوية الكثير من المعارف و المعلومات التي تسهم في فهمها إسهاما كبيرا "[1] وهذه الأخيرة تتلاقى مع مضمون كتاب دلائل الإعجاز في ربطه للنحو بالمعنى.

[1] علم لغة النص مفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار القاهرة ، ط2، 2010ص43.

الفصل الأول

المفاهيم النصية العامة

I) المفاهيم النصية المتعلقة بالنظم(بناء النص)

II) المفاهيم النصية المتعلقة بالناظم (المبدع)

III)المفاهيم النصية المتعلقة بالسامع والقارئ (المتلقي)

I) المفاهيم النصية المتعلقة بالنظم (بناء النص):

لقد تعددت الدراسات حول كتاب دلائل الإعجاز خاصة نظرية النظم التي اختلف الدارسين العرب حول مفهومها وماهيتها وفقا لاختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ، إلا أن هذا لا يعد عيبا فالجرجاني نفسه نبه إلى أن كتابه هذا يلم بشتات اللغة وعلومها في مصب واحد و عبر عن ذلك بلفظ مرآة و التي تعد تشبيها موفقا لكتابه " الدلائل " مما يوحي بالنظرة الثاقبة للأشياء لديه خاصة إذا نظرنا لألفاظ المبثوثة في كتابه و التي تعد خطوة سابقة لكثير من المفاهيم في ضوء علم اللغة الحديث و لذلك فهناك من رأى بأن النظم هو الأسلوب: « ونحن نعلم تماما أن عبد القاهر لا يفرق بين البلاغة و الفصاحة و البراعة فكلها مصطلحات تدل في النهاية على فنية النظم و الذي هو عنده كما سنرى فن الأسلوب »[1] وهناك من رأى بأنه درس في الدلالة و ذلك في كتاب " الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني " لتراث حاكم الزيادي.

- وعليه فهذا التشعب في دراسة مفهوم النظم عند الجرجاني يوحي مبدئيا باتساع هذه النظرية وشمولها في التطرق لمواضيع اللغة العربية ومن ثم فأقرب مفهوم للنظم عنده يتقارب كثيرا ومفهوم اللسانيات النصية باعتبارها العلم الذي يتخذ النص موضوعا لدراسة هذا الأخير الذي تلتقي الكثير من النظريات اللغوية في تحديد ماهيته في هذا العلم الناشئ.

ولذا سنفصل أكثر في مفهوم النظم وعلاقته بالنص وبنائه ونشير أن أي دارس أو متصفح لكتاب دلائل الإعجاز يثير انتباهه شيوع لفظة نظم وقد أحصى أحد الباحثين ذلك " بورود لفظة نظم 184 مرة أي ما يعادل نسبة ورودها مرة في كل 2.30 ص"[2].

- **النظم:**

النظم لغة: النظم التأليف، نظمه، ينظمه نظما ونظاما ونظمه فانتظم وتنظم و نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته. ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بأخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته و النظم: ما نظمته من لؤلؤ

---

[1] الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري، شوقي علي الزهرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت ، ص31.

[2] الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، محمد عباس، دار الفكر ، سوريا، ط 1، 1999.1420م، ص121.

وخرز وغيرهما. و الانتظام: الاتساق وليس لأمرهم نظام: أي ليس له هدي ولا متعلق، ولا استقامة"[1]

- ومنه معنى النظم في اللغة لا يخرج عن: التأليف، الجمع، الاقتران، الضم، الاتساق، التعلق و الاستقامة....و كل هذه الألفاظ تدل على مختلف علاقات الربط و الجمع بين الأشياء وفق نسق ما أي وفق شروط.

- **مفهوم النظم في دلائل الإعجاز:**

يشير بعض الباحثين إلى دور الكلمة الأولى في النص أو الجملة الأولى في النص أو حتى الحرف الأول، بحيث أن بداية الكلام هو الأساس الذي يرتكز عليه في بناء النص . "الجملة الأولى أو الكلمة الأولى أو الفقرة الأولى أو العنوان، يركز المرسل جهوده عليها وما بعدها تفسير لها، في القرآن يقابلها المناسبة ويوضح جليا الحكمة من افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح....تنزيها لله ورسوله من تكذيب المشركين"[2] ، ولذا سنركز القول في بداية الجرجاني لموضوع كتابه دلائل الإعجاز " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض.."[3] نستخلص من هذا النقاط التالية:

أولا: الجرجاني يقر ضمنيا بورود مصطلح النظم قبله فهو معلوم لدى الملتقي بمفهومه اللغوي و الرائج في الدراسات قبله.

ثانيا: جوهر موضوع كتابه سيدور حول النظم وتحقيق القول فيه.

ثالثا: أجمل الكلام عن النظم بمصطلح ثاني وهو التعليق وراح يفصل القول فيه.

ومن خلال كل هذا يتبين لنا أن مصطلح النظم راج قبل الجرجاني ولا يعد مصطلحا جديدا فقد " عرف مصطلح النظم في الجاهلية بأنه النطق على أساليب العرب..وفي العصر الأموي لم يلتفت إلى مسألة النظم في الشعر بقدر ما أنصب الاهتمام بإعجاز القرآن الذي جاء بنظم راق لا يماثله كلام العرب...وفي القرن الثالث عرف النظم مفهوما مغايرا عند الجاحظ الذي أقر الجمال لتناسق الألفاظ المفردة"[4]

---

[1] لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2003، ج12، ص686 مادة نظم.

[2] علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص65.

[3] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح:محمد عبده و محمد محمود الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص صاد.

[4] نظرية النظم، صالح بلعيد دار هومة، الجزائر، د ط 2004،ص107.

إذا كان مُصطلح النظم قد عُرف قبل الجرجاني فما الجديد الذي أضْفاه على هذا المصطلح ؟

وفي هذا الصدد نجد أن النظم في الدراسات التي سبقت الجرجاني طُرح كفكرة في سطر أو سطرين أو جزئية ما ، لكن بقي يكتنفه الغموض ولم يَعرف صورته الواضحة و الموسعة إلا مع الجرجاني الذي فصَّل القول فيه وبين ماهيته و الشروط التي تحكمه حتى اشتهر به، ولذا فالجديد الذي جاء به الجرجاني فيما يخص النظم هو الحديث عنه كنظرية مطردة في النص القرآني معتبرا إيه الوجه الرئيسي في الإعجاز وقد عبر الجرجاني عن إفاضته في الحديث عن النظم بضرورة " قتل الأشياء علما" [1]والتدقيق فيها.

لكن العرب عرفت فن القول ونظمت كلامها من مسند ومسند إليه وهذا مطرد في الكلام العربي شعر و نثره، **فأين يكمن العجز؟.** " فخبرونا عنهم عماذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟"[2]

ويجيب عن هذا " فقلنا أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه"[3] وإذا كان النظم سر الإعجاز فلابد من دليل و مبرر يبن صحة الادعاء "وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لابد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك وجهة معلومة وعله معقولة..."[4]

ويرجع كل هذا إلى النظم باعتباره المطرد في القرآن ، فالأخبار بالمغيبات ،و القصص قد يأتي في سور دون أخرى ،ولذا لا يصح أن يكون وَجْهَ الإعجاز ،ولمعرفة النظم والعلم به يقتضي العلم التام ،والكفاءة و الإحاطة بكل علوم اللغة ،ودقائقها وأسرارها بروية وفكر وإعمال العقل لاكتشاف خصائص المعاني ،وينظر إلى مراتب تمايز الكلام إلى أن يبلغ منتهاه في أمر الإعجاز. وبهذا يبدأ التفصيل في أمر النظم ،ومتعلقاته وشروطه فيتحدث عن دور الكلام ،وعن علم النحو في فهم القرآن ،وعن الفصاحة و البلاغة ،وعن الإعجاز وعن قضية اللفظ والمعنى، والكناية و الاستعارة و التمثيل و الحقيقة و المجاز في نظم الكلام وتأليفه ويرى الجرجاني أن النظم هو مركز تأليف الكلام ،ولذا فكل أنواع النصوص، شعر،

---

[1]دلائل الإعجاز، ص63.

[2]المرجع نفسه، ص32

[3]المرجع نفسه، ص32.

[4]المرجع نفسه، ص33.

نثر وقرآن تحتكم إليه فهو مركز المسائل اللغوية والحل الذي يلم بجملة من الأمور تبين صحيح الكلام من فاسده و ذلك بقوله " بأنه هو الذي لا تمام دونه و لا قوام إلا به ، و أنه القطب الذي عليه المدار "[1]

ومن خلال ما تقدم ذكره يعد النظم هو النظرية الشاملة التي تجمل شتات اللغة في مركز واحد و لذا فهي الكل المتكامل الناتج عن تفاعل الأجزاء فيما بينها وانصهارها لتشكل التأليف الصحيح المتفاوت الدرجات حسب أهمية ودور وموقع كل جزء في إطار الكل وبهذا فهو يتشابه إلى حد بعيد مع بنية النص خاصة أن نظرية النظم:

1 -لا تعتد بالكلم المفردة تهتم بالتأليف والموقع المناسب للكلمة في السياق

2 -اعتمادها على النحو ومعانيه وما يقتضيه العقل في بناء و تأليف الكلام .

3 -تدرس الكلام الصحيح المقبول ولا تعتد بالفاسد الخارج عن أصول اللغة ومفرداتها ونحوها .و استنتجنا هذا من خلال قوله: " و اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو.... "[2]

وأيضا قوله معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وكذا قوله في أكثر من موضع مراعاة مقتضى العقل حتى أن العقل يتقبل الكلام الصحيح ويستسيغه ويمج الفاسد منه.

كما أن لظهور نظرية النظم في التراث العربي وظهور لسانيات النص أسباب أعدها التاريخ بوجه آخر في العصر الحديث ومنها:

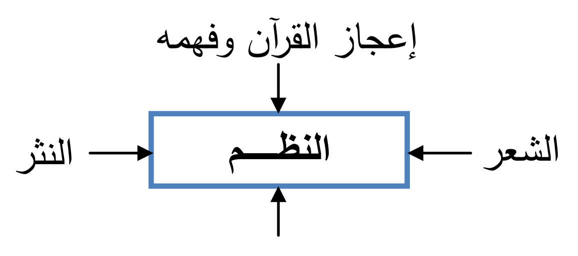
1 - قضية اللفظ و المعنى و الاهتمام بالشكل على حساب المعنى و إقصاء الدلالة التي نجدها حاضرة في كل من لسانيات النص و نظرية النظم .

2 - دراسة الجزئيات و التفصيل فيها دون ربطها بسياقها العام الذي نشأت فيه واجتثاثها الغير مبرر من أصلها ، مما أدى إلى فترة حياة محدود لكل النظريات التي اهتمت بجانب أو جزئية ما مما يعتريها من النقص ويحول بينها و بين التمام ومن بينها البنيوية التي اهتمت باللفظ دون المعنى أو دراسة الجملة في معزل عن النص أو الكلام الذي وردت فيه أو دراسة الكلام أو النص في معزل عن اللغة أو دراسة اللغة في معزل عن المحيط .

[1] دلائل الإعجاز، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص65.

أما الحلول في الدراسات العربية فقد تمثلت في نظرية النظم التي لمت شتات الكثير من العلوم التي كانت تدرس في معزل عن بعضها وكل تصب في قالب واحد وهو النظم الذي هو أداة هامة لتفسير وجه الإعجاز في القرآن الذي تتجلى فيه أسمى درجة لتشكل اللغة العربية في بنائها ونسجها وتأليفها .



مسائل اللغة وعلومها:

- قضية اللفظ و المعنى
- علم النحو
- الاستعارة والبلاغة و الفصاحة و البراعة

أما الدارسات الغربية فوجهت النظرة إلى علم اللغة النص ي (لسانيات النص) وذلك بتحليل النصوص بالاستعانة ببعض التخصصات و العلوم المساعدة في فهمها و بنائها.

- ومنه فوجه الشبه بين الدراستين العربية والغربية هو تبني دراسة الكل (نصا كان أم نظما) والذي يتبلور في إطار تفاعل الأجزاء وارتباطها فيما بينها ليهتدي لنوع من التمام و الشمول الذي يرفض النقص والخلل.

النظم عند الجرجاني عَرف اِصطلاحا جديدا حمَّله برؤية جديدة في تناول مسائل اللغة العربية – ونحن بهذا نتعلم درسا فيما يسمى اليوم بوضع المصطلحات بحيث يَعترِف الكل بالعجز و المستحيل قبل المحاولة – فالجرجاني كان الوَضْعُ اللغوي قبله في معضلة يُرى من الصعوبة بمكان حلها أو تجاوزها ألا وهي منطقة النحو العربي و التدقيق فيه ،و عزله كعلم مستقل عن العلوم العربية ،فجاء الجرجاني ليعيد الاعتبار لمعاني النحو ، وربطه بمحيطه اللغوي وتبسيطه ما دام هدفه حفظ اللسان ،وفهم كتاب الله وضرورة التفقه في علم

النحو وتعلمه بعد ظهور تلك الردة و الزهد في تعلمه "وكيف يكون أخذ القرآن في ظل غياب الأحكام النحوية التي تعقل المعنى "[1]

ولذا فنظرية النظم من ناحية شبهها باللسانيات النصية ترجع إلى أن النظم هو نظرية التأليف في الكلام العربي ، و ربما انحصر مفهومه في فترة ما بالشعر لكن النظم عند الجرجاني تجاوز كل هذا فهو نظرية تصلح للشعر ، و النثر بل الأكثر من ذلك أنه سر الإعجاز ولهذا فقد أجملت نظرية النظم كل أجناس النصوص في اللغة العربية من (شعر و نثر و قرآن) ، ولذا فهي تحتل بجدارة مركز التأليف ووجوهه المختلفة في نظام اللغة العربية وتستلزم في ذلك شروط أهمها النحو ،ومعانيه ومقتضى العقل هذان العنصران يتفقان إلى حد ما مع عنصري الاتساق، و الانسجام الذين يعتبران عنصرين هامين في بناء النص.

كما أن إيضاح فكرة النظم تتطلب العديد من المصطلحات ولعل أهمها التعليق فما المقصود بالتعليق ؟

التعليق:

التعليق لغة: «علق: علق بالشيء علقا وعلقه: نشب فيه، والعلاقة: الهوى والحب اللازم للقلب، وعلق بها تعليقا: أحبها وعلقت هي بقلبي: تشبثت العربي، لباب: نصبه وتركيبه: والعلق: قطع الدم ورضي من مركب بالتعليق لأنه إذا منع التمكن من الظهر رضي بعجز البعير وهو التعليق[2]»

– نستنتج من التعريف اللغوي بأن التعليق لا يكون في مفرد أبدا وإنما يكون بين اثنين فأكثر والذي من معانيه: التشبث والنشوب والنوط والتركيب والتماسك والتكتل فيما يخص قطع الدم، كما أن التعليق يكون في آخر الشيء وعجزه .

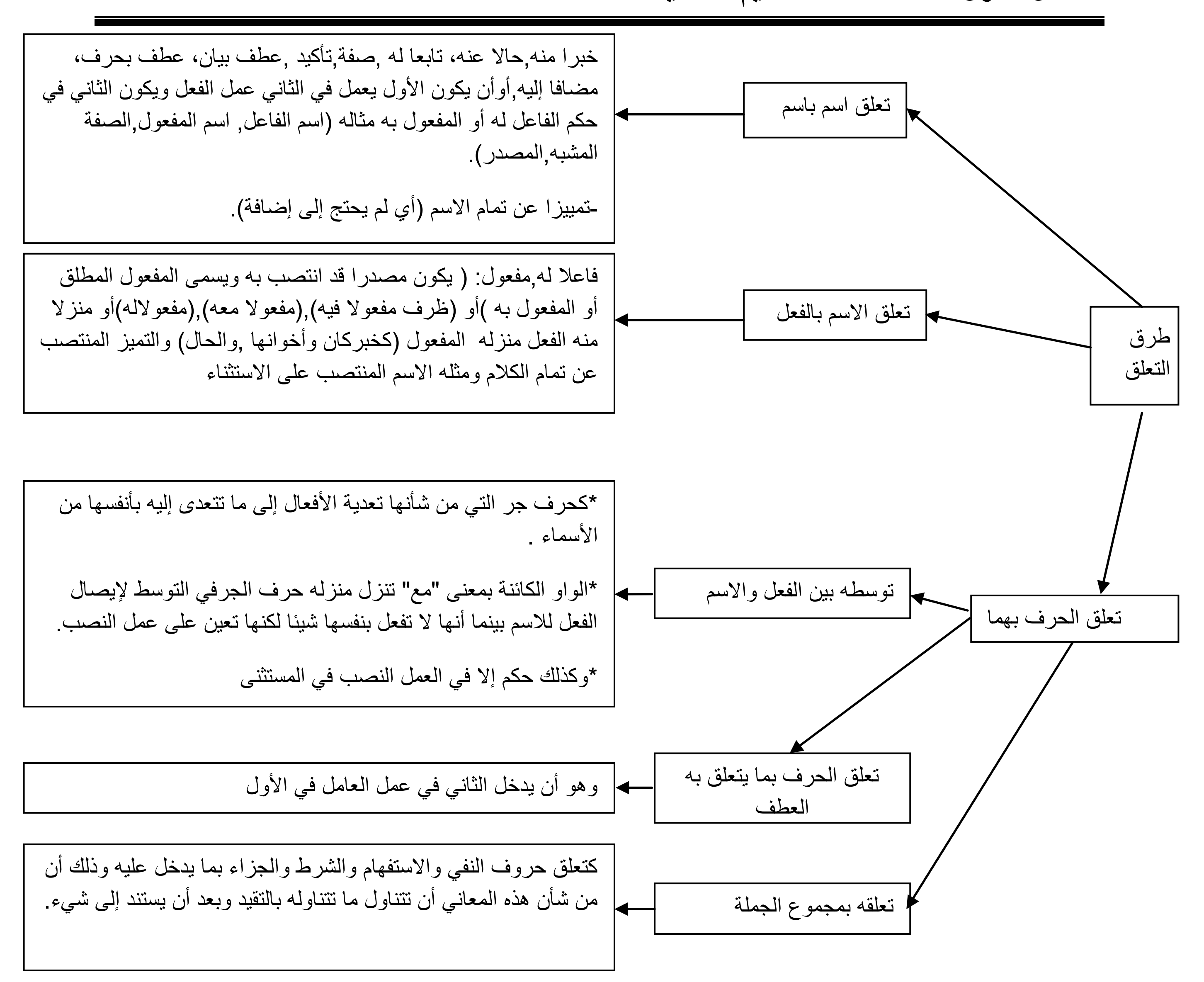
مفهوم التعليق في دلائل الإعجاز[3]: ويمكن تلخيصه في المخطط الآتي:

---

[1]مقالات لغوية (أثر القرءان في الدراسات اللغوية)، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، د ط ، 2009ص 12.

[2]لسان العرب، ابن منظور، ص313، مادة علق.

[3]ينظر :دلائل الإعجاز، ص(ق، ر، ش)مدخل الكتاب، بتصرف.



وبناء على هذا المخطط نستنتج أن مصطلح التعلق في اللغة يعني أوجه وطرق ارتباط الكلم بعضها ببعض أي وصف كل أوجه الارتباط الممكنة التي استقر عليها الكلام العربي، أما التعليق فهو أن ينسج الناظم كلامه من تلك الوجوه المتاحة له.

ويتبين لنا من الوهلة الأولى أن التعليق يتقارب والاتساق في اللسانيات النصية وذلك أنه: "يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[1].

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب ط2، 2006، ص 05.

– والملاحظ أن هناك أكثر من باحث ذهب إلى أن الجرجاني توقف عند حد الجملة وأن المقصود بالتعليق هو نحو الجملة لكننا نرى عكس ذلك ، وهو أن مصطلح التعليق لا يتوقف عند حد الجملة بل هو مرادف للنظم ، والبناء والصياغة ،والتأليف للكلم العربي فهو لا يعتد بالمفردات منعزلة بل يسعى إلى أوجه ارتباطها الصحيحة (التعليق) التي يجب أن تكون في ذهن الناظم للحفاظ على المعنى والقصد والاعتداد بهما أثناء تأليفه للكلام ،وذلك أن الجرجاني في تعريفه للنظم كما سبق الذكر صاغه في قوله معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من ببعض .

وهذا يدل على دور النحو عموما في تأليف الكلام الذي قد يكون (شعرا أو نثرا أو قرآنا) بل الأكثر من هذا تبيان مراتب التمايز بين هذه الأجناس واختلافها وتمايزها حتى في الجنس الواحد (الشعر أم النثر) ويورد نعمان بوقرة قولا لسعد مصلوح فيما يخص هذا الصدد «بأن البحث عن لسانيات نصية عربية ممكن وذلك في إطار – ما يسميه – بالنحو المقلمي الذي تمثله البلاغة العربية في مقاربتها لأنواع النصوص (القرآن، الشعر، النثر) [1].

ويذهب باحث آخر إلى أن الجرجاني : « ... استخدام مصطلحات الإشراك والتضام والتعليق والمشاكله والمناسبة، وهي تقترب من مصطلح التماسك»[2].

وهذا لأنها وسائل يمكن استخراجها من النص ودراستها فهي تطفو على سطحه كالأدوات النحوية المتخلفة ودورها في ربط النص.

أما مصطلح النصي فهو مصطلح غربي يقصد به التناص أي علاقة نص ما بنصوص أخرى ومدى تبعيته لها« وقد توصل إليه جيرار جينت في كتابه – أطراس PALIMAPSESTAS– خلال بحثه في صور التعالي النصي TRANSTEXTUALIT التي عدها موضوع البويطيقا، ومعادلا لأدبية النص...[3]».

– إذن الملاحظ أن فكرة النظم والتعليق عند الجرجاني تعدد فهمها من طرف الدارسين وهذا يعود إلى دقة الفكرة وتركيزها واشتمالها على جملة من الأمور المختلفة والتي شكلت نقاط خلاف في الدراسات اللغوية العربية والتوفيق بينها والأخذ بأصح منها كل هذا مهد السبيل

[1] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، جدار للكتاب العالمي، ط 1، 2009ص 32.
[2] علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص249.
[3] التعلق النصي، عمر عبد الواحد دار الهدى للطباعة، ط 1، 2003، ص(06.05).

بالحجة والدليل في ظهور نظرية النظم التي لخصت وحللت وناقشت الدراسات قبلها ومهدت وتنبأت لدراسات بعدها .

وفي هذا المضمار ترى دارسة أخرى أن النظم يستلزم التعليق وتعقب على ذلك بقولها: « فالجرجاني كان واعيا بأهمية التنضيد والربط بين الكلمات لتحقيق التماسك داخل الجمل ومع ذلك لا نجد فهم واحد لنظرية النظم عند الجرجاني، قد يفسر تعدد فهم هذه النظرية بين الدارسين والنقاد ما أورده الجرجاني من أراء مختلفة في سياقات متعددة، وردت فيها كلمة النظم ..»[1]

فحديث الجرجاني عن التعليق في مقابل النظم هو حديث عن جزئية لابد من مراعاتها أثناء تأليف الكلام العربي عامة، وإلا عد الكلام فاسدا وهذا الكلام مرهون باستعمال وبما توارثناه عن العرب فهو لا يتوقف على حد الجمل فحروف العطف ودورها في الكلام يتجاوز حد الربط بين الكلمات إلى الجمل «وكذلك إذا قلت لو ولولا وجدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية جواب الأولى »[2].

ولذا فالتعليق هو الحجر الأساس في بناء الكلام العربي وانتظامه وبالتالي فالنظم = جملة من الأمور (معاني النحو) + أوجه التعلق (أحكامه)
وذلك في قوله:

"إذا كانت هذه الأمور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة في منثور كلام العرب ومنظومه"[3].

ومن خلال هذا يريد الجرجاني أن ينتقل بنا إلى مفهوم أوسع لنظم فإذا كان التعليق أهم سمة من سمات النظم وهذا مطرد عند العرب في كلامهم وقد كملت معرفتهم به ويمكننا استنتاج واستقراءه فهو بهذا المفهوم يتعادل ومصطلح التماسك عند الغرب "وأطلق عبد القاهر على التماسك مصطلح "التعليق " أو " التعلق" وجعل من أهم سمات النظم تعليق الكلم بعضه ببعض"[4] وإذا كان الحال النظم كما ذكرنا فأين الجديد الذي جاء به القرآن.

---

[1] الانسجام في القرآن الكريم، لخلف نوال، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، د ط، 1432-2012، ص134.
[2] دلائل الإعجاز، ص شين(مدخل الكتاب).
[3] المرجع نفسه، ص تاء(مدخل الكتاب).
[4] علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص78.

– وهنا نجد الجرجاني يميز بين المعرفة السطحية للأمور والمعرفة الخاصة لها والتي هي في رأيه تحوي معاني خاصة ودقيقة تحتاج الى خبرة واسعة إطلاع " وإعمال فكر ورؤية وتأمل وكذلك شأن اللغة في معرفة دقائقها وأسرارها فإن سبيل العلم إليها يتطلب أداتين مهمتين"الشعر معدن اللغة، النحو الناسب الذي ينسبها لأصولها "[1].

إذن الجرجاني قام بتوسيع مفهوم النظم وذلك باستدراج المعنى والدلالة وذكره للمصطلحات تدل على ملائمة وتوافق البناء كلية مع بعضه بعض والتي هي تتقارب ومفهوم الانسجام في الدراسات الغربية، وتعريف النص من وجهة دلالية وتداولية ولذا يمكن أن نتحدث عن:

النظم والبناء والانسجام:

الجرجاني تحدث في هذا الصدد عن ماهية الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة والمغزى منها وهذا لأن الكلام العربي لا يوصف بهذه المفردات إن لم يكن هناك فنية في النظم والتي عقد لها مجموعة من المعايير وذلك في قوله: " وجدت المعول على أن هاهنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام التي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها"[2]

النظم والترتيب:

الترتيب لغة:"رتب الشيء يرتب رتوبا وترتب: ثبت فلم يتحرك، والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها، الرتب، الصخور المتقاربة وبعضها أرفع منن بعض" [3]

إذن مفهوم الترتيب في الكلام هو إيراد الكلام على حسب المكانة والرفعة والموقع الذي يقتضي تقديم لفظ على آخر على حسب المعنى وعلى حسب ترتيبه في النفس هذا الترتيب يؤدي إلى حسن البناء ومن ثمة جمالية النظم ولذا فاللفظ الأول في الكلام لابد أن يكون على درجة من الرفعة لان ما بعده يترتب عليه أي يستقر ويثبت عليه ما بعده من الكلام .

التأليف والتركيب:

التأليف لغة: " ألفه – إلفا – أنس به أحبه – وألف بينهما جمع، وألف الشيء: وصل بعضه ببعض، واتلف الناس: اجتمعوا وتوافقوا.والألفة: الاجتماع والالتئام[4]".

[1] ينظر دلائل الإعجاز، ص 6

[2] ينظر:المرجع نفسه، ص29

[3] لسان العرب، ج1، مادة رتب، ص417

[4] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية د ط، د ت، ج 1، ص 24.

إذن مفهوم التأليف هو الجمع بين الأشياء بحيث تتصل وتأنس وتوافق وتلاءم بعضها بعض وعند الجرجاني يكون "التأليف والملائمة وتوافق بين المعاني ودلالات المفردات فيما بينها"[1].

التركيب لغة: "يركب: الدابة يركب ركوبا: علا عليها، وتراكب السحاب وتراكم: صار بعضه فوق بعض"[2]

"وركب الشيء وضع بعضه على بعض فصار شيئا واحدا في المنظر ركب الفص في الخاتم والسنان في الرمح وركب الكلمة أو الجملة ..."[3].

إذن مفهوم التركيب: هو وضع الأشياء بعضها على بعض حتى تصير كشيء الواحد في المنظر وتشكل فيما بينها كلا متكاملا.

الشيء الملاحظ بين معنى التأليف والتركيب هو أن التأليف أشد في علاقات الأواصر بين الأشياء ويحمل المعنى النفسي والمعنوي في الربط بين الأشياء بحيث يصعب الفصل بين أجزاءه أما التركيب فيطلق على الذوات والماديات أكثر وبإمكاننا الفصل بين أجزاءه .

الصياغة والتصوير:

الصياغة لغة: " صاغه صوغا وصياغة: وضعة على مثال مستقيم والمعدن سبيكة والكلمة اشتقها على مثال والكلام هيأه ورتبه، وفلان من صاغة الكلام ممن يحبرونه وهن صوائغ ويغلب فيمن يكثر تزيين الكلام أو افتراءه وتسويته والصياغة عمل الحلي وكلام حسن الصياغة جيد محكم"[4]

إذن مفهوم الصياغة في الكلام هي درجة عليا من الكلام بحيث تتصهر الكلم فيما بينهما لتغدو كالقطعة الواحدة على درجة عالية الترتيب والاستقامة والإجادة والإحكام والحسن.

التصوير لغة:" صورة: صوره: جعل له صورة مجسمة، وصور الأمر: وصفه وصفا يكشف عن جزئياته، وتصور :تكونت له صورة وشكل، وتصور الشيء: تخيله واستحضر صورته في ذهنه، والتصوير نقش صورة الأشياء على لوح أو حائط"[5]

---

[1] ينظر:دلائل الإعجاز، ص36

[2] لسان العرب، ج1، مادة ركب، ص499

[3] المرجع السابق ،ج1، مادة ركب، ص368

[4] المرجع نفسه، ج1، مادة صاغ، ص 528

[5] المرجع نفسه، مادة صار، ص528

إذن التصوير هو الوصف والتعبير والكشف الكلي لهيئة الشيء الكاملة مع إبراز جزئياته حتى لا يلتبس مع صورة غيره.

والتصوير في الكلام إخراجه في أبهى حلة تكشف عن المعنى المختلج في النفس وتساعد على نقله إلى الآخرين أما عند الجرجاني فهو: "واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[1].

النسج والتحبير:

النسج لغة: " ضم الشيء إلى الشيء هذا هو الأصل، ونسجت الريح الربع إذا تعاورته ريحان طولا وعرضا، لأن الناسج يعترض النسيجة فيلحم ما أطال السدى والنسج معروف، وقولهم نسيج وحده بمعنى لا مثيل ولا نظير له ولا يعمل على مثاله مثله لدقته ونفاسته، ونسج الشاعر الشعر: نظمه"[2]

إذن مفهوم النسج هو ضم الشيء إلى الآخر بطريقة فنية والنسج في الكلام تلاحمه مع بعضه البعض كما أن النسج صناعة معروفة لها من الدقة والمهارة وتتفاضل هذه الصناعة من ناسج إلى آخر وكذلك الكلام إذ قوبل بهذه الصناعة .

كما أن الجرجاني في ذكره لهذا المصطلح يتعادل والدراسات الغربية التي ترى بأن النص لغة هو مرادف لنسيج (TEXTE) .

التحبير لغة: " حبر البرد حبرا: وشاه وزينة، وحبر الشيء: زينة ونعمه "[3].

وكذلك مفهوم التحبير في الكلام تزينه وتنميقه .

نجد الجرجاني تحدث عن معاني هذه الكلمات (النظم، التأليف والصياغة والنسيج) التي تكون في الصناعات على حقيقتها واستعارها للكلام نظرا للتقارب الشديد بين هذه الصناعات وبين الكلام من ناحية (ترتيبه وتركيبه وتصويره وتحبيره) ثم أن هذه الصناعات تتفاضل وتكون على درجات في كل صنعة فالنسج ليس على درجة واحدة وكذا الصياغة والنظم ... وكذلك شأن الكلام حتى يوصف بالبلاغة والفصاحة والبراعة والبيان ويصل إلى أقصاه في مرتبة الإعجاز.

---

[1] دلائل الإعجاز، ص 389

[2] لسان العرب، ج2، مادة نسج، ص439

[3] المعجم الوسيط، مادة حبر، ص 151

ولما كان لهذه الصناعات من الدقة والإتقان فيها كان ضربا من المستحيل تعلمها ومعرفتها بالقول المجمل دون التطبيق وخوض غمار التجربة ورؤية ذلك عيانا وبالتفصيل وكذلك الشأن في معرفة مزية الكلام وذلك نحو قوله " ولا يكفي أن تقولوا أنها خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسف الكلم ...حتى تصفوا تلك الخصوصية وتذكروا لها أمثلة" [1].

والنسق في اللغة " النظم ونسق الكلام عطف بعضه على بعض، ونسق بين الأمرين تابع بينهما ولاءم وانسق تكلم سجعا"[2].

أما مصطلح نسق في اللسانيات النصية فهو: (ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد ملاحظته وكشفه، كان نقول لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها أي تألفها وفق نسق خاص بها[3]»

إذن مصطلح النسق العربي والغربي واحد فكلها يعتمد على النظام وعلى التتالي والتتابع بين الأجزاء بعلاقات ما.

ونجد الجرجاني في موضع آخر يبين شدة تماسك وانسجام القرآن بعضه ببعض وتأثيرها على المتلقين بقوله: (بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما واتقانا وإحكاما[4]»

وهذه المفردات التي وصف بها القرآن تحتاج فعلا إلى دراسة.

---

[1]دلائل الإعجاز، ص30

[2]المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ص918

[3]المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرة، ص140

الاتساق:

سبق وان اشرنا في مادة (نظم) أن من معانيها: الاتساق، فما هو الاتساق لغة؟

الاتساق في اللغة:الأصل في الوسق الحمل، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم فقد اتسق واتسق القمر استوى، وقوله تعالى: " **والليل وما وسق والقمر إذا اتسق** وما وسق أي وما جمع وضم، واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لليلة ثلاث عشرة ووسقت الشيء حملته وجمعته، والوسق ضم شيء الى الشيء والاتساق الانتظام"[1]

أما مفهوم الاتساق في اللسانيات النصية فهو: «العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات الغير لسانية (مقاصة، تداولية) فلا تدخل إطلاقا في تحديده»[2].

وما دام القرآن جاء بلغة القوم التي بلغوا به كل مبلغ جاءت الحجة عليهم من نقطة قوتهم أي أن وجدوا القرآن استواء وكمالا في ضم الألفاظ والمفردات واجتماعها على نظام دقيق لا اعوجاج فيه ولا ريب وبتقدير كل شيء في موضعه ومكانه «بحيث لا نجد في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يذكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق»[3]، وهذا كله مراعاة لمعنى الخاص والدقيق بحيث أن أي اختلال في اللفظة أو تغيرها أو تقديمها أو تأخيرها يؤدي إلى فساد المعنى الناجم عن اختلال النظم والاتساق ولذا كان عجز العرب ليس عن ضعف في ملكة اللغة بل عن قوة وعلم و وعي بها في شدة استواءها وكمالها في القرآن الكريم بحيث لم ير لها صورة أنق أعجب إلا فيه، ولما لم يستطيعوا بلوغ هذا المبلغ وصفوه بالسحر وبكلام الجن وهم يعلمون أنه ليس كذلك فقد عرفوا (السحر والشعر) وعلموا انه ليس في شكلته من شيء فيه

النظام والالتئام:

الانتظام سبقت الإشارة إليه فهو الاتساق والائتلاف ...

الالتئام لغة:(«اللأم: الاتفاق، وقد تلاءم القوم والتأموا: اجتمعوا واتفقوا، تلاءم الشيئان إذا اجتمعا واتصلا والملائمة: الصلح والتأم الجرح التئاما إذا برأ والتحم»[4]

إذن مفهوم الالتئام لا يخرج عن معنى الجمع و الاتفاق والاتصال على وجه الصلاح.

[1]لسان العرب، ج 10، مادة وسق

[2] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرة، ص141

[3]ينظر:دلائل الإعجاز، ص32

[4]لسان العرب، ج12، مادة لأم

الإتقان والإحكام:

"الإتقان في اللغة بمعنى الإحكام وكذلك الإحكام في اللغة بمعنى الإتقان"[1].

وهو بلوغ القرآن لدرجة من الانسجام والاتساق و الدقة المتناهية في سياق لفظه وفي دلالته ومعناه إلى درجة التمام و الكمال التي لا يرى معها فتور ولا نقص ولا اختلال.

. ثم إن هذه المعاني من نظم الكلام ودرجة مزيته حتى يوصف بالفصاحة و البلاغة و البيان والبراعة تعود في الأساس إلى المعنى والدلالة أولاً ثم اللفظ تابعاً لها و أن ضم هذه الكلم بعضها إلى بعض لا يكون بمعزل عن المعنى وإنما اتفاقها يرجع إلى تلاقي معانيها.

. و ذلك في قوله: " ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات و سائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت و الصفة، وينسب الفضل و المزية إليه دون المعنى "[2]

فلا معنى للنظم دون المعنى ومراعاته أثناء التأليف وأنه لا سبيل للكلم المفردة إذ تحدثنا عن النظم ولا قيمة لها إلا في سياقها اللغوي الذي ترد فيه بحيث تكتسب قيمتها ومعناها ووظيفتها هناك " وهل تجد أحداً يقول هذه لفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم"[3]

ووصف اللفظة بالتمكن والقبول وخلافه بالقلقة والنابية والمستكرهة إلا من جهة المعنى فمعنى النظم عند الجرجاني توسع إلى مفهوم الانسجام بحيث تتفق الألفاظ وتضم فيما بينها للاتفاق معناها " وأن الفضل تَنَاتج ما بينها وحصل من مجموعها " [4]، وذلك في سياق شرحه للآية: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك....)، وهذا ما يزكي أن معاني المصطلحات التي أوردها الجرجاني من(ترتيب ونظم وتأليف ونسج وصياغة وتحبير وتصوير والتئام وإحكام وإتقان....)هي مصطلحات تكون بين الأشياء في ضم بعضها لبعض وحسن اتفاقها وتلاؤمها فيما بينها حتى ترى في مجموعها كالشيء الواحد.

وكذلك شأن الألفاظ فـ "الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها "[5]، فمعرفة نظم الألفاظ في الكلام يكون بمعرفة معانيها ولا يصح أن تعرف موضع اللفظ دون أن تعرف معناه، فنظم الكلم يتطلب من مستعمل اللغة أن يقتفي في

---

[1] المعجم الوسيط، ج1، مادة(تقن ص86، حكم ص190)

[2] دلائل الإعجاز، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص35.

[4] المرجع نفسه، ص37

[5] المرجع نفسه، ص38.

نظمها أثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس على عكس نظم الحروف الذي لا يراعي فيه واضع اللغة ذلك " والفائدة من معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت في النطق، بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل "[1]

والمقصود هنا انسجام الألفاظ فيما بينها من ناحية معانيها وذلك وفق علاقات ومفاهيم منطقية و عقلية.

وهذا يتوافق وما ذهبت إليه الدراسات الغربية من قولها باعتباطية بين الدال والمدلول وإلى دور الكلمة واكتسابها لوظيفتها في إطار السياق الواردة فيه، ولذا فالجرجاني سبق الكثير من النظريات الحديثة خاصة تلك التي تعرف النص من وجهة دلالية لا يهم فيها الطول أو القصر " وعلمنا أنهم لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى"[2]

ثم إن حديث الجرجاني في شأن الفصاحة تهتم باللفظ وصحح هذا الاعتقاد الفاسد بأنها لا تقتصر على اللفظ بمعزل عن المعنى حتى تكون وجها للإعجاز.

وذلك أن الجرجاني أشار إلى ذلك في قوله: " وأن يعلم أن ليس لنا إذ نحن تكلمنا في البلاغة و الفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ولا هي منا سبيل وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب "[3]

ولذا فإن الحديث عن الفصاحة والبلاغة حديث عن الدلالة والمعنى في الكلام والتأليف و التركيب ككل.

نستنتج مما سبق أن مصطلح التعليق يتقارب و" مصطلح الوصف النحوي والذي يتعلق بالتماسك النحوي والعلاقات النحوية والدلالية ومبدأ الإعادة "[4]

أما مفهوم النظم في جوهره فيتطابق وفكرة الانسجام أو ما يدعى "بالمستوى الموضوعي"[5]، وقد عبر عنه الجرجاني بتناتج ضم الكلم فيما بينها من جهة المعنى فالمستوى الموضوعي "يهتم بمضمون النص كمعلومة كلية يفهم في ضوئها على أنه نتيجة بواسطة نواة المضمون"[6]

[1]دلائل الإعجاز، ص40، 41.
[2]المرجع نفسه، ص29.
[3]- المرجع نفسه، 57.
[4]التحليل اللغوي للنص: كلاوس برينكر، تر:سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010، ص39.
[5]ينظر المرجع نفسه، ص40.
[6]المرجع نفسه، ص40.

II- المفاهيم النصية المتعلقة بالناظم (المبدع):

إن حديث الجرجاني و تقديمه لفكرة النظم لم تكن معزولة عن الناظم وذلك من خلال قوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه. "[1]

نستنتج من هذا التعريف أن الجرجاني لم يفصل بين تأليف الكلام ومنتجه بل نجده يعقد شروطا يجب أن تتوفر في الناظم حتى يسمى كلامه نظما فالناظم يعمد أثناء تأليفه للكلام إلى علم النحو ومعرفة خصائص ودقائق ووجوه كل باب و فروقه.

.كما نشير إلى أن مصطلح "النظم "عند الجرجاني يتعادل مع مصطلح ال نص، كما أن المصطلحات (مبدع، نص، متلقي)نجد لها مقابلات في التراث العربي كما يوضحه الجدول الأتي:[2]

(1)	(2)	(3)
المبدع (المتكلم)	النص(القول، الكلام)	المتلقي(السامع)

ولذا اهتم الجرجاني بالناظم ودوره في بناء النص إذ يعتبر هذا الأخير (النص) مجرد محصلة لما يريد الناظم قوله وما يهدف إليه ويقصد إيصاله إلى غيره و حتى يتم كل هذا من ضبط المعنى ودقته وإيصاله حتى يفهم عليه لبد له من مراعاة الجانب النحوي فعلى المتكلم أن ينتج كلامه وفق دائرة الصحة النحوية التي تتيح له العديد من الخيارات وفق المعنى الذي يريد وكلما أحسن الاختيار جاد معناه "غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو اخص به واكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية "[3]

ولما كان حديث الجرجاني في كتابه "الدلائل "عن النظم حديثا موسعا ومتناولا كل الأطراف والوسائل المساهمة في تأليف الكلام وبناء النصوص فان الحديث عن المتكلم وصاحب النص كان ضمنيا في إطار حديثه عن النظم وفي بعض الأحيان الأخرى صريحا

---

[1]دلائل الإعجاز، ص64.

[2] التلقي والابداع (قراءات في النقد العربي القديم، محمود درابسة، دار جرير، الاردن، ط1، 2010، ص19.

[3]المرجع السابق، ص35.

ولذا من خلال تتبعنا لمادة الكتاب يمكن أن نرصد أهم المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالمتكلم (الناظم).

1) القصد (الغرض):ويعد أهم عامل يساهم في ارتباط الكلام كما انه احد المعايير النصية التي أشار إليها ديبوغراند ودريسللر وقد تفطن الجرجاني إلى أهمية قصد المتكلم ودوره في انسجام النص وترتبه وتفرده وهذا في إطار حديثه عن المعنى عموما وأسبقيته في تأليف الكلام ونظمه أما تمايز نظم عن أخر فهذا يعزى إلى المعنى الخاص والذي يتقارب ومفهوم القصد الذي يختلف الحال به من متكلم إلى أخر فقد ذكر الجرجاني أن المزية في الكلام قد تحكمها أمور لغوية وأخرى غير لغوية ومن بينها القصد وذلك في قوله: "فكانت لا تجب بالفصل وترك العطف وبالحذف والتكرار والتقديم والتأخير وسائر ما هو هيئة يحدثها لك التأليف ويقتضيها الغرض الذي تؤم والمعنى الذي تقصد" [1]

وفي هذا التعريف عقد جملة من الأمور الغير لغوية التي تحدث أثناء التأليف وتؤدي إلى تغير في بنية الكلام وليس لها مقابل في التواضع اللغوي بل يعزى كل هذا إلى غرض مقصد المتكلم الذي يتحكم فيه الجانب المعنوي أكثر من اللغوي .

ومنه فهناك عوامل خارجية (هيئة يحدثها لك التأليف)وعوامل داخلية متعلقة بالمتكلم وقصده الذي يتوافق ومفهوم البنية العميقة والنواة التي تشد الكلام بعضه ببعض وهذا ما يزكي دور العامل النفسي في توجيه الخطاب وبنائه هذا ما نجده حاليا في تقاطع علم النفس مع علم النص ويتجلى هذا في "تناول علم النفس لشرح العمليات اللغوية واليات إنتاجها وتلقيها كما أن دور علم النفس وارتباطه بعلم النص يعود إلى اعتبار النص خصوصية من العالم الداخلي للنفس الإنسانية التي أبدعته أو تتلقاه ".[2]

ونجد فان دايك يعرف النص "بأنه بنية سطحية تواجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية " [3] ولذا فإن فكرة البنية العميقة تتقارب ومفهوم الذي تحدث عنه الجرجاني فالحذف والوصل والتكرار والتقديم والتأخير ما هو إلا ترتب للكلم وفقا للمعنى والغرض والقصد الذي يبتغيه المتكلم .

---

[1] دلائل الاعجاز، ص193

[2] ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، دارنوبار، القاهرة، ط1، 1996، ص27، 29.

[3] بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، تر:سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003، ص56.

كما أن مصطلح القصد عند الجرجاني تكرر ذكره أكثر من مرة في كتابه "الدلائل " وارتبط بمصطلحات أخرى (كالنظم ومعاني النحو الحقيقية والمجاز وترتب المعاني في النفس والفصاحة والمعنى والغرض) ولنا أن نوضح بعض ذلك فيما يلي:

الحقيقة والمجاز:

وذلك في قوله: "الكلام على ضربين:ضرب أن تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد ... وضرب أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل "[1]

إذا نظرنا إلى قول الجرجاني نجد إن المتكلم هو المتحكم في إيراد الكلام بأسلوب صريح مباشر أو بأسلوب مكنى وغير مباشر وهذا وفقا لما يخدم غرضه ومقصده .

حقيقة = دلالة اللفظ

الكلام

مجاز = دلالة اللفظ(المعنى الظاهر غير مقصود) معنى ثاني (مقصود)

الفصاحة:

قد بين الجرجاني في أكثر من موضع على أن الفصاحة لا تكون في الألفاظ المفردة بل هي صفة للمعاني وذلك في قوله: "الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة، وإذا كان كذلك فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو له في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة ... وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلما، لأنه لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه "[2]

يتبين من هذا القول ما يلي:

- الفصاحة غير متعلقة بالألفاظ المفردة وبتالي هي ليست صفة للغة.
- المتكلم لا يزيد في اللفظ شيئا إنما زيادته تكون في المعنى.

[1] دلائل الإعجاز، ص202.
[2] المرجع نفسه، ص308.

- نستنتج من هذا التعريف أيضا أن الجرجاني فرق بين مصطلح الكلام واللغة، فاللغة(التواضع)، والكلام(الاستعمال).

ضبط المعنى والتأثير والإفادة:

وذلك في قوله "لا يكون لأحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها...وإن قولنا "المعنى " في مثل هذا يراد به الغرض والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول:زيد كالأسد، ثم تريد هذا المعنى بعينيه فتقول كان زيدا الأسد"[1]

يرجع التفاضل في المعنى ودقته إلى قصد المتكلم وترجع الزيادة في المعنى إلى الزيادة في التأثير والإفادة إما بإعادة الترتيب أو زيادة للفظ نظرا لزيادة حدثت في المعنى ويمكن توضيح هذا بالمخطط التالي:

تشبيه الرجل بالأسد
→ زيد كالأسد(تشبيه بالأسد)
→ كان زيدا الأسد (زيادة في معنى التشبيه حيث يتوهم أنه أسد في صورة آدمي) توخي نظم اللفظ وإعادة ترتيبه.

وكل الأمور التي سبق ذكرها هي من مقتضيات النظم التي يقصد المتكلم إليها أثناء التأليف و يجعلها في حسبانه حتى يسمى كلامه كلاما وذلك بتوخي معاني النحو و الترتيب وفق المعنى الذي يبتغيه، أما الألفاظ المفردة ليست مقصودة في ذواتها أو أوزانها أثناء تركيب الكلام " لأن نحن فيما يكون به الكلام كلاما إلا به وليس للوزن مدخل في ذلك"[2]

وبعد أن أخذنا مصطلحات لها علاقة بقصد المتكلم نستأنف القول عن المصطلحات المتعلقة بالمتكلم عموما و التي من بينها مصطلح :

الابتداء:

وهو أن يكون المتكلم هو الأول و لم يسبقه غيره في الإيتاء بالجديد و الخاص الذي يميزه عن غيره ولذا فهو نظير الإبداع و الأسلوب: ويتجلى هذا في قوله " وكان ينبغي أن لا

[1] دلائل الإعجاز، ص199.
[2] المرجع نفسه، ص278.

تجب المزية بها يبتدئه الشاعر و الخطيب في كلامه من استعارة اللفظ للشيء لم يستعر له و أن لا تكون الفضيلة إلا في استعارة قد تعورفت في كلام العرب و كفى بذلك جهلا".[1] فالاستعارة المبتكرة تدل على عبقرية المتكلم و اتساعه في المجاز و هذا هو ديدان المبدع فالمبدع: " هو الشخص الذي يمتلك موهبة متميزة و ثقافة تساعده على الابتكار و الخلق و إدراك الروابط الخفية بين الأشياء .... فالشاعر مبدع وكذلك الحال بالنسبة للناثر أيضا فكلاهما لا يحاكي الأشياء و إنما يبتكر أشياء جديدة"[2]

ومنه فالكلام الجيد هو الذي تحدث فيه مزية و تفاضل و يكون فيه إبداع و تفرد فالابتداء يقع مقابل لكل من المصطلحات التالية (الاحتذاء و التقليد و المحاكاة)و قد ذكر الجرجاني هذا في صفحات كتابه

و قد ذكر دور الابتداء في " إضافة القول إلى صاحبه و ذلك في تفريقه بين الراوي الذي يعد محاكيا لكلام الشاعر، و الشاعر الذي هو المبتدئ للكلام على ذلك النسق و الترتيب مراعيا متطلبات النظم متوخيا معاني النحو في معاني الكلام وفق ترتيبها في النفس"[3]، فالابتداء بهذا المعنى يتقارب و مفهوم الأسلوب الذي يعد طريقة خاصة تميز صاحبها عن غيره على عكس الاحتذاء الذي يكون فيه المتكلم محتذيا للأسلوب غيره و يسمى بذلك" محتذيا لا مبتدئا"[4]

و الاحتذاء هو" أن يبتدئ الشاعر في معنى له غرضا أسلوبا – و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقة فيه – فيعمد شاعر أخر إلى ذلك الأسلوب فيجئ به في شعره"[5]

وقد أشار الجرجاني أن الشاعر لا يكون محتذيا إلا أخذ مسترقا عن غيره .

حسن التخيير:

زيادة على معرفة المتكلم بالفروق و الوجوه و كل الأمور المتحصلة بالدراية بعلم اللغة إلا أن هذا لا يعد كافيا وذلك في قوله " فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع و الفاء للتعقيب بغير تراخ (و ثم) له بشرط التراخي و (إن) لكذا و (إذا) لكذا و لكن لأن يتأتى لك إذا نظمت و ألفت رسالة أن تحسن التخيير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه" [6]. وإذا كان

---

[1] دلائل الإعجاز ، ص 193.
[2] التلقي والإبداع، محمود الدرابسة، ص19
[3] ينظر المرجع السابق، ص277.278
[4] المرجع نفسه، ص360
[5] المرجع نفسه، ص 361
[6] المرجع نفسه، ص 193

اختيار المرء جزء من عقله فإن الاختيار لا يكون حظا وإنما يتأتى للمؤلف بأن يكون على بينة من أمره أثناء التأليف و يكشف عن احترافيته وأن يضع كل ذلك في خاص معناه و ذلك أن أمر التأليف يرجع إلى مستعمل اللغة وفق لما يخدم أغراضه ومن ثم فإن بنائه للكلام يخضع لمعرفة مواضع الكلم مع بعضها وحسن ائتلافها ولا يتأتى هذا إلا بمراعاة معاني النحو ثم إن المعرفة بمواضع الكلم هي معرفة إجرائية يفترض فيها المتكلم أنه متلقٍ لكلام غيره و مستقرئا له عارفا بمواضع الإجادة فالعلم بمواضع الكلم في التأليف علم بخصائص دقيقة و منافع جليلة تؤديها.

– إذن مما تقدم ذكره فإن الصورة والصنعة التي ينتهي فيها نظم الكلام على تلك الهيئة الفضل و المزية فيه تعود إلى الناظم وذلك أنه يستعمل فكره و ذهنه أثناء تعليق معاني الكلم بعضها ببعض مراعيا في ذلك معاني النحو.

III- المفاهيم النصية المتعلقة بالسامع و القارئ (المتلقي)

اهتم الجرجاني بالمتلقي وكان اهتمامه به على مستوى ضربين:

-**الأول:** و تمثل في المتلقي لكتاب دلائل الإعجاز و نجد الجرجاني يستحضر هذا المتلقي و يدعوه " إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه و بعثه على ما دوناه " وقد ذكر هذا في مدخل كتابه بل نجد الجرجاني يجعل متلقيه نصب عينيه و يحاوره بأسلوب حجاجي من بداية كتابه إلى نهايته يقول له (تأمل لما أودعناه، واعلم أن، ألا ترى، أخبرني، فإن قلت ...) بحيث يتبين أن الجرجاني يقرأ ردود أفعال متلقيه وهذا ما يدل على تنبؤ الجرجاني بمكانة كتابه وما سيحدثه من طفرة في الدراسات اللغوية وهذا راجع إلى مدى قناعته بما توصل إليه و قصده إلى أن يوصله إلى غيره من المتلقين و تصحيح الكثير من الاعتقادات الفاسدة التي ربما عششت في صدور بعض هؤلاء فتراه لا يترك بابا يدخل منه الشك إلا أشار إليه و أصلح موضع الفساد الذي يعتريه

-**أما الضرب الثاني** فهو الحديث عن المتلقي داخل كتاب الإعجاز و الذي أشار إليه بقوله (السامع، القارئ) و أيضا في سياق حديثه عن المتعاطين لعلم التفسير وعلم التأويل بحيث يعد أحد الأقطاب التي تكتمل بها الثلاثية النصية (المبدع، النص، المتلقي) هذا المتلقي الذي يشترط فيه الفطنة و النباهة في تلقي نظم ما و فهمه وقد اهتمت الدراسات الغربية بالمتلقي اهتماما كبيرا، أما في مجال اللسانيات النصية فهناك من اعتبرها مجرد نظرية لفهم و تأويل النصوص " و يحاول كوزريو أن يقدم إجابة سؤال طرحه هو نفسه، وهو: لماذا نحتاج إلى علم لغة يدرس النص؟

ويجيب عنه قائلا: علم لغة النص في رأيه ليس في الحقيقة شيئا غير المقدرة التأويلية، و نظرية علم لغة النص ليست شيئا غير نظرية علم التأويل (التفسير)"[1]

وإذا كان هذا ما رآه الغرب فيما يخص التلقي و أهميته في دراسة النص و فهمه فبنا أن ننظر لما أورده الجرجاني في ذلك و ندرس أهم المصطلحات و المفاهيم المتعلقة بجانب التلقي لديه.

---

[1] علم لغة النص (المفاهيم و المجالات) سعد حسين بحري ص 45

المعرفة بعلم النحو:

ذلك أن فهم أي نص متوقف على معرفة هذا العلم " و أما زهدهم في النحو ....أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله و عن معرفة معانيه" [1] بل إن درجة فهمك مرهونة بدرجة تفقهك بهذا العلم و الإحاطة به و ذلك أن علم النحو يفيدك بأمور منها [2] :

1 المعرفة بالإعراب معرفة بمعاني الألفاظ

2 يعينك على استخراج الأغراض الكامنة في النظم

3 المعيار الذي تعرف به تمام الكلام أو نقصانه

4 كما أنه المقياس الذي يعرف به صحة الكلام من فساده.

ولا يكتفي الجرجاني بهذا بل يرى أن الخوض في مجال تفسير القرآن لا يكون إلا بالمعرفة الدقيقة لأبوابه " وهل وفيتم كل باب منه حقه و أحكمتموه إحكاما يؤمنكم الخطأ فيه إذا أنتم خضتم في التفسير و تعاطيتم علم التأويل". [3]

فكلما كانت معرفتك بالنحو أكثر و أدق كلما ساعدك هذا على فهم الكلام مهما بالغ فيه صاحبه من الإغماض و ذلك أن الحل الذي تطلبه اذ صعب فهم الكلام هو النحو " وحتى كان المشكل عند الجميع غير مشكل عندكم" [4].ولن يصل القارئ إلى هذه المرحلة حتى يكون قد تخصص في مسائل النحو و فهمها فهما دقيقا، فالنحو من بين المعارف الضرورية التي إن تسلح بها القارئ صار بها متميزا عن غيره و كان تحليله أكثر موضوعية و أكثر دقة لأن النحو يكسبه معرفة مراتب التمايز و الفضل بين كلام و كلام أخر وقد ذكر الباحثين ضرورة تسلح القارئ بمعارف تساعده على خوض غمار التحليل و التفسير و اصطلحوا على ذلك بما يسمى " (المعرفة الخلفية) و لذلك القارئ حين يواجه خطاب ما لا يواجهه و هو خاوي الوقاض و إنما يستعين بتجاربه المسبقة." [5]

---

1 دلائل الاعجاز، ص23

2 ينظر المرجع نفسه، ص23

3 المرجع نفسه، ص25

4 المرجع نفسه، ص27

5 ينظر المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرة، ص135،136

تحقيق القول:[1]

نبذ الجرجاني التقليد وحفظ المتون وظاهر اللفظ دون البحث عن تفسير المزايا والخصائص من أين تعرض، وذلك أن القارئ لابد له من معارف مسبقة قبل الخوض في تفسير أي كلام ولكن قبل الأخذ في بناء معارفه يجب أن يكون متحرزا فيما يأخذه وما سيتبناه فيما بعد خاصة إذا تعلق الأمر بالإعجاز وذلك حين تواصفوه بأنه(معجز بنظمه،وسياق لفظه و أنه لا يوجد كلمة ينبو بها مكانها أو لفظة ينكر شأنها....)

وذلك أن الأخذ بظاهر القول وحفظه وتبنيه لا يكفي إن لم تدرك ما المقصود منه ، وذلك أن يظن أن القرآن معجز بلفظه إلا أن المقصود من ذلك أنهم أرادوا المعنى وأجروا أوصافه على اللفظ و الجرجاني قد بين اللغط الكبير حول التفخيم من شأن اللفظ وأن السبب ربما هو التقليد وعدم التمحيص في الكلام وإذا تَبَنّيْته إلى أين سيوصلك؟

ولذا فإن مصطلح: تحقيق القول " يتقارب وأعلى مراتب النقد وذلك أنك عندما تحقق قولا ما لابد لك من دليل يثبت صحة ادعائك "

"ولابد لكل كلام أنت تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون للاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة"[2]

ويتوضح من هذا الكلام أن المتلقي لا تكفي انطباعيته في تذوق الكلام ما لم يعلم ويدرك من أين يعرض له هذا ويصفه بالحجة والدليل.

نستنتج من هذا أن المتلقي عند الجرجاني هو متلق متمرس ذو ذوق وفطنة متبصر ومتأمل للأمور وناقد لها ومبين وعالم وقادر على إقناع غيره بما توصل إليه، ونفى أن يكون هذا المتلقي السلبي المقلد الحافظ للأمور على ظواهرها

الأريحية :

وهو مصطلح أورده الجرجاني راجع لما يحسه المتلقي من راحة وقبول وإعجاب لما يقرأه أو يسمعه إلا أن هذا الانطباع الذاتي لا يعد كافيا عند الجرجاني ما لم يكن معللا بوجه لغوي " وأن يسألك السائل عن حجة يلقي بها الخصم في أية من كتاب الله أو غير ذلك، فلا ينصرف عنك بمقنع، وأن يكون غاية ما لصاحبك منك أن تحيله على نفسه،

[1]ينظر المصطلحات الأساسية في لسانيات النص،نعمان بوقرة، ص، 32، 33.

[2]دلائل الإعجاز، ص32.

وتقول قد نظرت فرأيت فضلا ومزية وصادفت لذلك أريحية، فانظر لتعرف كما عرفت وراجع نفسك واسبر وذق لتجد مثل الذي وجدت ،فإن عرف فذاك ، وإلا فبينكما التناكر، تنسبه إلى سوء التأمل وينسبك إلى فساد التخيل"[1]

يتبين من هذا القول أن المتلقي الكفء عند الجرجاني هو المتلقي القادر على تعليل انطباعاته ونقلها للآخرين لذا فالجرجاني بمفهومه هذا للمتلقي يَتَلاقى وكثير من النظريات الحديثة التي ترى بأن المتلقي مبدع ثاني وذلك بإنتاجه لكلام على كلام فكما أن هذا المتلقي لكلام ما قد اقتنع وتأثر وارتاح بهذا الكلام لابد له من نقل هذا الشعور وهذه القناعة إلى غيره وقد اصطلح الجرجاني على هذا بمصطلح التخيل الذي يتحول على مستواه المتلقي إلى مؤلف ومنتج للكلام يسعى إلى بلورة أشياء ليست حاضرة أمامه ولكنه يمكنه الوصول إليها عن طريق تأملاته ولذا يبقى الجانب الجمالي حاضرا في تفسير النصوص لكنه ليس العمدة والأساس في ذلك ومن قبيل هذه المصطلحات التي تعد انطباعا أوليا يقود إلى تفسير منطقي فيما بعد" المزية ، الفضل الجمال الحسن النشوة الأريحية الطرب الروحانية ....الخ وهي كلما مصطلحات تقتبس أصولها من البعد الجمالي وتتناسق مع الوقع النفسي" [2] هذه المصطلحات تدل على ردة فعل المتلقي الأولية وتأثره بالكلام الذي قصد المتكلم التأثير في به غيره

تحصيل المزية:

وتتمثل المزية في معرفة مراتب الكلام و التمييز بها و تفضيل بعضها على بعض " قد فرغنا الآن من الكلام عن جنس المزية و أنها من حيز المعاني دون الألفاظ، و أنها ليست لك حين تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك و تستعين بفكرك، وتعمل رويتك و تراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك ".[3]

والملاحظ من هذا القول أن حسن كلام ما لا يعود للألفاظ من حيث هي عبارة عن أصوات منطوقة بل إن أحسن الكلام و المزية فيه ترجع للمعاني وذلك لأن طلبك للمعنى يحتاج منك أن تكون صاحب بصيرة بالأمور و تستعمل فكرك و تتمهل في إصدار الأحكام و تستحضر ذهنك محاولا في ذلك الفهم و الوصول إلى المراد.

[1] دلائل الإعجاز، ص34.
[2] الأبعاد الإبداعية في منهج الإبداعية في منهج الجرجاني، محمد عباس، ص70.
[3] المرجع نفسه، ص51.

نقد الكلام:[1]

وذلك أن الشعراء كانوا يتلقون الشعر و يقومون بنقده مثل البحتري و كذلك بعض المتعاطين لعلم الشعر مثل " ابن العباس ثعلبا " الذي كان من أعلم الناس في إعراب الشعر و غريبه ولذا كان النقد على طائفتين: طائفة تتعاطى علم الشعر دون عمله وطائفة عملت الشعر و سلكت طريقه و عرفت مضايقه و انتهت إلى ضروراته وذلك أن الطائفة الأولى استجادت الشعر من حيث المعنى و التركيب بينما الطائفة الثانية استجادت الشعر من حيث الألفاظ لأنها هي التي يقع عليها الوصف ونجد الجرجاني يتبنى الرأي الوسط وذلك في قوله "معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع فيه التصوير و الصوغ فيه كالفضة و الذهب يصاغ منها خاتم أو سوار فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم و في جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أوالذهب الذي وقع فيه العمل و تلك الصنعة – كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل و المزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"[2]

نجد الجرجاني في هذا التعريف يشبه الكلام بالتصوير والصياغة ويشبه المعنى بالذهب و الفضة يصاغ منهما خاتم أو سوار

فالنظر في صنعة الخاتم ودقته لا تكون بالنظر إلى الذهب الذي صنع منه، لأن الذهب ليس هو الشيء الذي جعل الخاتم خاتما، لأنك من الذهب تستطيع إخراج كم من شكل، وكذلك شأن الكلام فلا يمكن أن تعرف مكان المزية و الفضل والدقة بأن تنظر في مجرد معناه، وذلك أنه لا يمكنك إدراك جوهر الشيء دون شكله ولا يمكنك الفصل بينهما، فأنت تدرك الشيء مجملا ثم تبحث عن المزية ولا تقتصر المزية على المعنى دون اللفظ " ذلك أن الإبداع الجيد هو الذي يجمع بين المضمون والشكل فيوازن بينهما."[3]

فإن كان هذا ما يراعيه المتكلم الحاذق فعلى الناقد الجيد أن لا يغفل هذا الجانب، وذلك أن عمل الناقد لا يقتصر على الصناعة المعنوية دون اللفظية وهذا لأن عمله" يدور

---

[1] الأبعاد الإبداعية في منهج الإبداعية في منهج الجرجاني، محمد عباس، ص 195، 196

[2] المرجع نفسه، ص196

[3] النص الشعري بين أليات انتاجه وجماليات تلقيه، سعيد بكور عالم الكتاب الحيث، الأردن، ط1، 2013، ص38.

في الغالب على مسألتين لطالما أثرتا وقالا هما:اللفظ والمعنى...فالجانب اللفظي المذكور لا يؤدي معنى بمنأى عن نظيره المعنوي فهما مرتبطان ارتباط الجلد بالعظم."[1]

وقد أشار الجرجاني إلى فساد المذهب الاعتزالي لدى الجاحظ الذي"ستسقط أمر المعاني "[2]

وذلك أن جعل العلم بالمعاني يتساوى فيه العامة والخاصة وأن فضل الشعر بلفظه لا معناه وهذا الرأي يؤدي إلى رفع أن يكون في الكلام معجز وأن ينكر الإعجاز من حيث لا يشعر.

وهذا لأن تذوق البشر ليس على درجة واحدة وأن هناك خصوصية في المعنى تتأتى من النظم والتأليف .

المعنى ومعنى المعنى (التلقي بين المجاز والحقيقة وقصد المتكلم)

والمقصود أن المعنى يختلف سبيل طريق الوصول إليه:

إذا كان قصد المتكلم الإخبار عن الشيء حقيقة، فإنك تدرك معناه مباشرة بدلالة اللفظ وحده مثل (خرج زيد).

إذا كان قصد المتكلم الكناية والاستعارة والتمثيل، فإنك لا تستطيع الوصول إلى معنى الكلام من دلالة اللفظ وحده بل أن تفضي بك دلالة اللفظ إلى أن تعقل معنىً ثاني هو قصد المتكلم ؛كأن تعقل من قولهم (كثير رماد القدر)أنه مضياف ويلخص هذا قول الجرجاني "ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنىً ثانيا."[3]

وهذا لأن الكلام في الاستعارة والمجاز سبيله سبيل التواطؤ الذي يقع بين المتكلم والسامع وقد اختصر الجرجاني ذلك في قوله " **المعنى ومعنى المعنى** نعني **بالمعنى** المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة **وبمعنى المعنى** أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك"[4]

---

[1] النص الشعري بين أليات انتاجه وجماليات تلقيه، سعيد بكور، ص50.
[2] ينظر:دلائل الإعجاز، ص198
[3] ينظر:المرجع نفسه، ص203
[4] ينظر المرجع نفسه، ص 203.

الغموض و التعقيد والخفاء والتخليط و الاشتباه (التعب في الفهم):

وهذا الأمر يعرض في المجاز فمتى يسهل فهم المجاز و متى يصعب ؟

"يسهل فهم المجاز" [1] إذا كان المعنى الأول(لدلالة اللفظ)الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني وسيطا بينك وبينه متمكنا في دلالته و يشير لك إليه أبين إشارة حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله إليك .

وجملة القول أن المتكلم لا يقصد إلى الإغراب في القول بل يسعى إلى توضيح إشارته وتبينها بحيث تكون دلالة اللفظ التى اختارها تشير مباشرة إلى غرضه .

أما الصعوبة فهم المجاز تعود إلى أن هناك ما يمنع أن يفضي حق السفارة بينك وبين معناك ويوضح تمام الإيضاح عن مغزاك "[2].

ولذا تتعدد التأويلات ويصعب إدراك القصد .

ويرى الجرجاني أن التعقيد الذي يستهلك المعنى يرجع إلى اختلال في النظم، أما إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما فإن وصول المعنى إلى قلبك يكون تلوى وصول اللفظ إلى سمعك، وأما غموض المعنى وخفائه أمر قد يدعى على كبار العلماء بأنهم لم يعلموه ولم يفطنوا له.

وذلك في قول بشار:

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح في التبكير. بكرا فالنجاح في التبكير.) كان أحسن، فقال بشار إنما بنيتها أعرابية وحشية

وقوله بنيتها أعرابية وحشية بمعنى أن نظمها نظم عربي صحيح، وهذا النوع من التعقيد والغرابة يحتاج من السامع أن يكون صاحب فطنة وذكاء وبديهة ناهيك عن العلم بأمور اللغة، فإن كان خلف الأحمر والأصمعي"[3] خفي عليهما ذلك فما بالك بالعامة .

وهذه الغرابة أو التعقيد لما تَتّعرف عليها تكتشف منها شدة نباهة القائل وذكائه وقد رأى الجرجاني أن يحصل هذا الاشتباه و الخلط في شأن الوجوه والفروق " واعلم أن من شأن هذه الوجوه والفروق أن لا يزال بسببها وعلى حسب الأغراض والمعاني التي تقع فيها دقائق

---

[1] _ينظر دلائل الإعجاز،، ص 207 .
[2] _المرجع نفسه، ص 207 .
[3] المرجع نفسه، ص211

وخفايا إلى حد ونهاية وأنها خفايا تكتم أنفسها جهدها حتى لا ينتبه لأكثرها ولا يعلم أنها هي وحتى لا تزال ترى العالم يعرض له السهو فيها وحتى إنه ليقصد إلى الصواب فيقع في أثناء كلامه ما يوهم الخطأ وكل ذلك لشدة الخفاء وفرط الغموض[1]

الذوق والمعرفة:

نجد الجرجاني يؤكد على ضرورة أن يكون للسامع ذوق ومعرفة ترسبا من معارفه السابقة " واعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون مما تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى لا يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى وحتى إذا عجبته عجب وإذا نبهته لموضع المزية انتبه، أما من كانت الحالان عنده أبدا سواء وكن لا يتفقد النظم إلا على الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما اقل ما يجدي معه الكلام.[2]

وذلك أن السامع وتقبله للقول يرجع لمعرفته موضع الحسن وإحساسه به ثم تأمله لاكتشاف موضع المزية من أين تأتيه.

[1] ينظر دلائل الاعجاز، ص221

[2] المرجع نفسه، ص225

الفصل الثاني

المفاهيم النصية الإجرائية

I) التقديم و التأخير

II) الحذف

III) الفصـل والوصـل

المفاهيم النصية الإجرائية: (معاني النحو وعلاقته بالمتكلم والنظم والقارئ):

المفاهيم الإجرائية التي سنتحدث عنها في ه ذا الفصل هي مفاهيم جعلت العملية النصية (متكلم، نظم، متلقي) في أقصى انسجامها وتكاملها ويعد مصطلح (معاني النحو) المفهوم الشامل الذي يضم هذه المفاهيم الإجرائية خاصة أن هذا المصطلح يربط البلاغة بالنحو و الأدب باللغة كما أنه لا يصح إنتاج كلام ونظمه أو تحليله وفهمه دونه ولا يسمى النظم نظما إلا بتوخيه، فهو مصطلح يقع فوق علم النحو وسابق عليه فقد اهتدى العربي إلى معرفة ضم الكلام وتعليق بعضه ببعض قبل ظهور علم النحو و استقراره على مسمياته التي نعرفها اليوم ولذا سنتحدث عن دور معاني النحو عموماً ثم نفصل القول في أهم مباحثه انطلاقاً من قوله:"فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "[1]

ويجعل مثالاً لحسن النظم قول البحتري:[2]

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى	فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحادثا	تُ عَزْمًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صَلِيبَا
تَنَقّلُ فِي خُلُقَيْ سُؤْدَد	سَمَاحًا مُرَجًّى وَبَأْسًا مَهِيبَا
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا	وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيبَا

ويرى الجرجاني أن سبب استحسان الأبيات يعود إلى غرض المتكلم وقصده ومراعاته للجانب النحوي وذلك "أنه قدم وأخر وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر"[3]

نستنتج من هذا أن الجرجاني سبق العديد من النظريات التي تحدثت عن سبك النص وانسجامه ورأى أن من وسائل الانسجام (التقديم و التأخير، والتعريف و التنكير والحذف والإضمار، والإعادة و التكرار)، والتي يجب على المتلقي تتبعها في نص ما قد حظي بالقبول و الاستحسان من طرفه مستحضراً ذهنه في ذلك ومراعياً قصد المتكلم الخاص الذي يشد النص وينسبه إلى قائله ويجعله يظهر على تلك الصورة و الصنعة الخاصة التي لا

1- دلائل الإعجاز، ص 65.
[2]- المرجع نفس، ص 67.
[3]- المرجع نفسه، ص 68.

يمكن أن تتكرر في الوجود (ويعد مبدأ الإعادة في الدراسات الغربية من بين أهم الوسائل المساعدة في تكوين النص إلا أنه لا يعد كافياً بمنأى عن البنية الموضوعية لنص)[1]

وإذا عدنا إلى الأبيات السابقة نجد التكرار و الإعادة في قوله:

1) هو المرء.

2) تكرار الكاف في قوله (كالسيف و كالبحر) والتكرار في الإضافة و الحال و التنكير في قوله سؤدد، و الحذف في قوله كالسيف و الأصل (فهو كالسيف) إلا أن تعداد هذه الأمور والوسائل المساهمة في ربط النص لا تعد كافية عند الجرجاني للاستحسان القول ما لم يكن هناك ترتيب في النظم "واختيار للمواضع الكلم بحسب المعنى الذي تريد و الغرض الذي تؤم"[2]

ولذا ففساد النظم يعزى إلى سوء التأليف وفساد في الترتيب ويشرح إبراهيم خليل الشاهد الذي أورده الجرجاني لأبي الطيب المتنبي في قوله.[3]

الطيبُ أَنتَ إذا أَصابَكَ طيبُهُ وَالماءُ أَنتَ إذا اِغتَسَلتَ الغاسِلُ

أي الطيبُ أنتَ طيبُهُ إذا أَصابك، وَالماءُ أَنتَ الغاسِلُ له إذا اِغتَسَلتَ، أي إذا أَصابَكَ الطيبُ فأنت طيبُ له، وإذا اغتَسَلتَ بالماء فأنت الغاسِلُ له، أي أنت أطيبُ من الطيب وأطهر من الماء.

استحسان البيت لا يكون تلقائياً ومن الوهلة الأولى بل يحتاج إلى إعادة ترتيب في الكلام لفهم المقصود مما يؤدي إلى استهلاك المعنى ولا يعني أنه عُدِمَ الإحسان بل هناك إحسان ولكن يَصْعبَ مرامه "هذا ما اصطلح عليه بالتعقيد والذي يلجأ إليه الشاعر وغيره كتحدي واختبار لمدى فطنة المتلقي"[4]

بعدما أخذنا إجمالاً في الحديث عن الأمور التي يحسن بها النظم سنفصل القول في أهم المباحث التي تناولها الجرجاني بالتطبيق و المثال و الحجة في إبراز مواطن الحسن في النظم و التي هي كالتالي:

---

[1]- ينظر التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ص 72.

[2]- ينظر دلائل الإعجاز، ص 69.

[3]- ينظر في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 228.

[4]- ينظر المصدر السابق، ص 210.

I. التقديم والتأخير:

لا يعد الحديث عن هذا المبحث باعتباره قاعدة نحوية معيارية جافة كافيا دون النظر إلى الفروقات و التفاوتات التي يحدثها في معنى الكلام ولهذا فهو يفيد في سجم النص ومقارنته بغيره من النصوص التي تتكون من نفس الألفاظ و تختلف من ناحية الترتيب وبتالي تختلف من ناحية المعاني والمقاصد ولا يهم أن تكون هذه النصوص واقعية أو مفترضة من النص الذي وقع فيه التقديم والمهم أن التقديم إن وقع في الكلام دل في العموم على العناية والاهتمام بالشيء المقدم، هذه العناية و الاهتمام تكون من المتكلم مراعاة لأغراض السامع، ولذا فإن المتلقي لكلامٍ ما فيه تقديم وتأخير عليه بالنظر الدقيق حتى يدرك ويفهم ويؤول الكلام تأويلا صحيحاً.

ويرى الدكتور إبراهيم خليل أن التقديم والتأخير من أدوات الربط بقوله (و يعد تغيير الرتبة أحد عوامل الربط عند عبد القاهر الجرجاني، فإذا قدم الشاعر أو الناثر أو المتكلم الظرف ثم أخر العامل فيه، وهو الفعل، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ويسترجع، رابطاً بين المعمول وهو الظرف، والعامل فيه وهو الفعل وهذا يتضح في عرضه لبيتي إبراهيم بن العباس في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

فول إذ نبا دهرُ، وأنكر صاحبٌ   وسُلِّطَ أعداء وغاب نصير
تكون عن الأهواز داري بنجـوة   ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ [1]

ويعلق على ذلك قائلاً بأن الجرجاني يرى ذهاب الحسن وفتوره لقوله "فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر" ومرد ذلك أن تقديم الظرف جعل القارئ يتلهف شوقاً لمعرفة بقية الكلام.

وبتالي فالجرجاني يدل المتكلم و المتلقي على الصياغة الجيدة و التلقي الصائب من خلال النظر إلى مواقع التقديم و التأخير وأثرها في الكلام وقد تحدث الجرجاني عن (الاستفهام والنفي و الخبر المثبت) مع التقديم متطرقاً للمعاني والدلالات التي يفضي إليها في كل أسلوب.

[1]- ينظر، في اللسانيات نحو النص، إبراهيم محمود خليل، ص 229.

✓ ويمكن أن نجمل أهم ما تحدث عنه الجرجاني فيما يخص التقديم و التأخير حتى يتضح مفهومه ودوره في ربط النص أكثر:

أ. **تقديم على نية التأخير** : وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كتقديم خبر المبتدأ على المبتدأ و المفعول على الفاعل.

ب. **تقديم لا على نية التأخير** : ولكن أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعله باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه كتقديم المفعول به على فعله.

✓ **الأصل في التقديم العناية و الاهتمام بالمقدم وذكره:**[1]

نستنتج من هذا أن للتقديم دور مهم جدا في فهم النص وصياغته وذلك أن:

1. هناك تغيير في ترتيب الكلام دون تغيير في الناحية الإعرابية إلا أنه يحدث تغييراً في معنى النص قد يبدو هذا بعيداً إلا أنه يتضح أكثر بالمثال.
2. هناك تغيير في ترتيب الكلام يؤدي إلى تغيير في الحالة الإعرابية وحتماً يؤدي إلى تغيير في معنى النص.

- ومن ثم فإن للرتبة دور هامً في الكلام وإن عممنا هذا على النص تبين لنا أهمية ما يتقدمُ النص بحيث يحاط باهتمام و العناية لأنه هو السبيل الذي يبنى عليه الكلام.

" وقد اعتبر الجرجاني التقديم والتأخير من بين المباحث المهمة في معرفة البلاغة ومقاديرها وأداة لتمييز نظم عن نظم حتى يرتقي الأمر إلى الإعجاز، وأيضا فهو من بين المباحث التي تتحرها أثناء التأويل حتى لا تقع في التحريف و التبديل و الخطأ"[2]

ويرى الجرجاني أن للتقديم فائدة ثابتة له دوما: (ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى"[3]

وذلك أن رتبة التقديم في الكلام لها فائدة ودلالة في حد ذاتها تخص أكثر وتعطي معناً لطيفاً حسب الجنس المقدم و لك أمثلة ساقها الجرجاني في توضيح ذلك:

[1]- ينظر، دلائل الإعجاز، ص 83 – 84.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 85 – 86.
[3]- المرجع نفسه ص 87.

التقديم و الاستفهام بالهمزة:[1]

1 مع الفعل الماضي:

إن قلت أفعلت فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت أأنت فعلت فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه

ومثاله:

1. أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ الشك وقع على الفعل وأنت متردد في وجود الفعل وانتقائه ومتجوز أن يكون أو لم يكن.
2. أأنت بنيت هذه الدار؟ الشك في الفاعل وليس الفعل وكيف وقد أشرت للدار مبنية.

ـ وعلماً أن هذه المعاني تستفاد إذا كانت هي للتقرير.

أما إذا قلت: أَأَنْتَ فَعَلْتَ ذاك كان غرضك أن تقرره بأنه فاعل ومثاله:

قوله تعالى حكاية عن قول نمرود: ﴿ **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾[2]

الغرض ليس أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان، وقد أشاروا له إلى الفعل وكان جوابه { **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ** }[3] ولو كان تقريراً لقال فعلت أو لم أفعل.

- و اعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل كان وإنكار له لما كان وتوبيخ لفاعله عليه، ولها مذهب أخر وهو أن يكون لإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا، إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴾[4]

و قوله تعالى:﴿ **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[5]

فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم، وإذا قدم الاسم في هذا صار الإنكار في الفاعل.

---

[1]- دلائل الإعجاز، ص 87 – 89.
[2]- سورة الأنبياء، 62.
[3]- سورة الأنبياء، 63.
[4]- سورة الإسراء، 40.
[5]- سورة الصافات، 153 – 154.

ومن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا أن الاستفهام يرد حسب قصد المتكلم وتقديمه للشيء المستفهم عنه يكون تبعاً لذلك أي حسب شكه أو إنكاره يكون تقديم الجنس المستفهم عنه وحسب علمه وجهله به.

وللتقديم و التأخير دور في ربط النص بعضه ببعض وقد أورد الجرجاني في ذلك مثالاً في إطار حديثه "عن إنكار الفعل من أصله ثم يخرج اللفظ مخرجه إذا كان الإنكار في الفاعل".[1]

وذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**﴾ [2]الإذن راجع إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا**﴾[3]والمعنى إنكار أن يكون قد كان من الله إذن في ما قالوه من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله، وقد سيق اللفظ في صورة من غلط فأضاف إلى الله تعالى إذناً كان من غير الله فإذا حقق عليه ارتدع .

2 مع الفعل المضارع:

تقديم الفعل المضارع:[4]

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

تفسير هذا هو تكذيبه منه للإنسان تهدده بالقتل وإنكار أن يقدر ذلك ويستطيعه، وجملة الأمر أنك تنحوا بالإنكار نحو الفعل.

أما تقديم الاسم: في قولك أأنت تفعل أهو يفعل كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور، واستخرجت منه معاني لطيفة وأغراض عديدة كقولك أأنت تمنعني تعريضاً له بالعجز والحط من منزلته أو رفعاً لمنزلته(أهو يسأل فلاناً) هو أرفع همة من ذلك.

تقديم المفعول: يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة و المنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت أزيداً ضربت، كنت أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب أو بموضع أن يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه، ومثله في القرآن ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[5].

وَلِيًّا﴾[5].

[1]- ينظر دلائل الإعجاز، ص 90

[2] - سورة يونس، 59

[3] سورة يونس، 59-

[4]- ينظر المرجع السابق، ص92-95.

[5]- سورة الأنعام،14.

– يمكن أن نكتفي بإبراز أهمية التقديم بالاقتصار على مسألة الاستفهام وذلك أن هدفنا من خلال هذه الأمثلة ليس إعادة وشرح لما ذكره الجرجاني بل المغزى المستفاد من ذلك وهو أنه متى تغير ترتيب نظم الكلام تغير المعنى حتى وإن بدا في أول وهلة أن المعنى واحد، وبتالي يستفاد من مبحث التقديم والتأخير في معرفة كفاءة المستمع التأويلية وإدراكه للفوارق التي تحدث بالكلم.

– كما أننا نلحظ أن الجرجاني رأى من الاستفهام باباً يتضح فيه التقديم أكثر واختار من الاستفهام الهمزة نظراً لأن:

1) الاستفهام يحتل الصدارة و التقديم كذلك ومن ثم تقوى مكانة التقديم وتبرز

2) الاستفهام بالهمزة هو الشائع و هو أصل الاستفهام ومادام الجرجاني يتحدث عن أهمية الإعجاز فهو يختار من الأمثلة ما شاع ذكره في القرآن حتى يكون مجال التأويل أكثر دقة ولا تُأْخَذُ الأمُور على ظَاهرها فالجرجاني لم يتعرض لكل مواضع التقديم في النحو.

II- الحذف:

من بين المباحث المهمة التي تساهم في ربط النص وانسجامه وقد عده هاليداي من بين وسائل الاتساق النصي معتبره علاقة قبلية باعتبار المحذوف قد ذكر سابقاً في النص. أما الجرجاني فيتحدث عن أهمية الحذف في الكلام وسجمه بقوله: " باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك، الذكر أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر "[1]

يتبين لنا من هذا القول أن الحذف وسيلة من وسائل سجم النص وارتباطه على مستوى المعنى دون أن تظهر في الكلام قرينة لفظية فهو وسيلة من وسائل الاقتصاد اللغوي التي تضفي على الكلام بعداً جمالياً.

وحديث الجرجاني عن الحذف في الكلام يبدو جلياً في قضية ربط النص بعضه ببعض إذا لم يتوقف في إظهاره على حد الجملة بل على مستوى البيتن وعلى مستوى القطعة من القصيدة مبيناً في ذلك ما شاع حذفه في الكلام العربي لبلاغة في الكلام ومنه:

1. حذف المبتدأ:[2]

ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع و الاستئناف يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدّعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً أخرا وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ ومن أمثلته:

وعلمت أنـي يوم ذا   ك منازل كعباً ونـهداً
قوم إذا لبسوا الحديـ   د تنمروا حَلَقاً وقِداً

والأصل في الكلام (هم قوم) وعلق إبراهيم خليل على ذلك " فقد ذكر قبيلتين هما كعب ونـهد ثم استأنف الكلام بعدهما، فأخبر أنـهم يشبهون النمور إذا لبسوا ملابس القتال والحرب ولم يقل، هم قوم، والمبدأ الذي يقوم عليه الحذف هو اعتماد المتكلم التلميح لا التخريج"[3]

1- ينظر دلائل الإعجاز، ص 112
2- ينظر المرجع نفسه، ص 113 – 117.
3- ينظر اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 233.

ومما أُعتيد فيه أن يجئ خبرا قد بني على مبتدأ محذوف قولهم بعد أن يذكروا الرجل: فتى من صفته كذا وغر من صفته كيت وكيت.

ومثال ذلك:[1]

سَأَشكُرُ عَمراً إِن تَراخَت مَنيَّتـــي أَيادِيَ لَم تُمنَن وَإِن هيَ جَلّـَتِ

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

وأيضاً قول جميل:

وهل بثينة يا ناس قاضيتي ديني وفاعله خيراً فأجزيها

ترنو بعيني مهاة أقصدت بهما قلبي عشية ترميني وأرميها

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ريا العظام بلين العيش غاذيهـا

وقوله:

إني عشية رحت وهي حزينـة تشكو إلى صبابة لصبور

وتقول بت عندي فديتك ليلة أشكو إليك فإن ذاك يسير

غراء مبسام كأن حديثها درٌّ تحدّر نظمه منثور

محطوطة المتنين مضمرة الحشا ريا الروادف خلقها ممكور

إن النظر في هذه الأبيات يوحي أن الجرجاني تجاوز حد الجمل وعالج النص وبين أهمية الحذف وبعده البلاغي وأن اللغة العربية لغة معنى وأن الكلام العربي يميل إلى الخفة في الموضوع الذي يحتاج إلى الخفة وينبذ فيه التكرار خاصة إن كان المتحدث عنه واحد وكان في الكلام تعداد لصفاته فلا يليق ذكره و الإشارة إليه في الكلام كل مرة فيصبح مثلاً ذكر هي غراء، هي محطوطة، وإذا حاولنا تقدير هذا وقراءة الأبيات نجدها خرجت من دائرة الإجادة إلى دائرة الركاكة خاصة في الأبيات التالية:

هجاء الأقيشر لابن عمه:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

والحذف كان في (وليس هو إلى داعي) و (ليس هو لما في بيته) ويستحسن الجرجاني هذا الحذف كثيرا.

---

[1]- ينظر دلائل الإعجاز، ص 115.

وأيضا في قول بكر بن النطاح:[1]

العَيْنُ تُبدِي الحُبَ والبُغْضَا وتُظهْر الإبــرامَ والنقضا

درّة مَا أنصفتني في الهوَىَ ولا رَحِمْتِ الجَسَدَ المُنضى

غَضْبَــي وَلَا واللهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ البَارِدَ أَوْ تَرْضَــى

وأردف الجرجاني معقباً على الأبيات يقول في جارية كان يحبها وسُعِيَ به إلى أهلها فمنعوها منه و المقصود قوله (غضبى) وذلك أن التقديم (هي غضبي) لا محالة أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف وكيف تأنس إلى إضماره.

– كما أن " حسن الحذف عند الجرجاني يكمن في المجيء به حيث ينبغي له، و استعماله في موضعه، وهذا تأكيد منه على أن حسن وجوه النحو لا يتم إلا بمراعاة المواضع و الأغراض التي يُصَاغُ لها الكلام".[2]

2. **حذف المفعول به:**[3]

المفعول به إذا حذف خصوصاً فإن الحاجة إليه أمّس، وهو بما نحن بصدده أخص و اللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن و الرونق أعجب وأظهر.

ومن أمثلته: قوله البحتري:

شجوُ حساده وغيظ عـداه أن يرى مبصر ويسمـع واع

"وقبل بيان مكان الحذف لا بأس أن نشير أن النحاة يقسمون حذف المفعول به إلى ضربين حذفه اختصاراً وحذفه اقتصاراً، فالأول أن يحذف من الكلام لفظاً لكنه مراد معناً وتقديراً، والثاني أن لا يذكر المفعول وهو غير مراد".[4]

– وحذف المفعول به اقتصاراً يتساوى فيه الفعل المتعدي كغير المتعدي كقولك (هو يعطي ويجزل، ويقري ويضيف) وغرضه إثبات المعنى للشيء على الإطلاق، وهذا شأنه أن يقل فيه اللفظ و يتوسع فيه المعنى.

[1] ينظر دلائل الإعجاز، ص 117

[2]- النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية (رسالة ماجستير): أم الخير بن الصديق قسم اللغة العربية ورقلة، 2007، ص 56.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص 118 – 130.

[4]- ينظر:معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط5، 2011، ج2، ص81-82.

– أما حذف المفعول به اختصار فمنه الجلي كقولهم أصغيت إليه: أي أذني ومنه خفي تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع ومثاله قول البحتري سابقا، " فالمعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره وأوصافه "[1]

وهو خفي لأن من الصعوبة التفطن لوجود حذف و الكلام يبدوا على درجة من التمام و التأثير.

ومن أمثِلة حذف المفعول أيضا قول البحتري:

إذا بعُدَتْ أبلتْ وإن قربتْ شفتْ   فهجرانها يُبْلي ولقيانها يشفي

"قد علم أن المعنى (إذا بعُدَتْ عني أبلتني وإن قربتْ مني شفتني) إلا أنك تجد الشعر يأبى ذكر ذلك ويوجب اطرحه، وذلك لأنه أراد أن يجعل البلى كأنه واجب في بعادها أن يوجبه ويجلبه وكأنه كالطبيعة فيه وكذلك حال الشفاء مع القرب حتى كأنه قال: أتدري ما بعدها؟ هو الداء المضني، وما قربها؟ هو الشفاء و البرء من كل داء."[2]

وقوله عز وجل ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أُمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل﴾[3]

"حذف المفعول به في أربعة مواضع إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان (غنمهما) وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما. ثم لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقاً."[4]

الغرض هو تبيان وجود رعاء يسقون وامرأتان لا تسقيان على الإطلاق (وذلك إذا كان غرض المتكلم أن يثبت معنى الفعل للفاعل دون أن يتعرض لذكر المفعول أو المفعولين)[5]

ومن ثَمَّ فهذا الحال ثابت للمرأتين في عدم السقي دوماً وهذا هو حالهما دائماً إذ همَّا بالسقي، ولذا حذف المفعول به جعل ثبوت هذه الحال على الإطلاق للفاعلين، هذا لأن من شأن المفعول به تخصيص الأمر وتضيقه.

---

[1]- ينظر دلائل الإعجاز، ص 124.
[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 125.
[3]- سورة القصص، 23 – 24.
[4]-ينظر: المرجع السابق، ص 124.
[5]- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، دط،،دت، ص 225.

حذف المفعول به بعد فعل المشيئة:[1]

أ. أن يحذف المفعول به إذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف أولى مثل:

لو شئتُ خرجتُ أي (لو شئتُ الخروجَ لخرجت)، لو شئتُ قمتُ...

ب. أن يكون مفعول المشيئة أمر عظيم أو بديع أو غريب كان الأحسن ذكره ولا يضمر:

ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فقياس هذا لو كان على حد قوله تعالى: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ**.

يقول: لو شئت بكيت دمًا، ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في الكلام خصوصاً وسبب حسنه أنه كأنه بدعُ عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دمًا فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به.

نستنتج من أن مبحثي التقديم والتأخير والحذف و اللطائف التي تنجم عنهما هي أمور تختص أكثر بالجانب المعنوي والدلالي و انسجام النص وتربطه إذ لا يعبر عن هذين المبحثين بشيء لغوي مدرك محسوس وإنما إدراكهما يحتاج إلى فطنة وذكاء ويتحدد الغرض منهما وفائدتها من خلال السياق وغرض المتكلم وفطنة السامع.

ومادام الإعجاز ضبط المعني وفهم مقاصد الشريعة فإن أي تغيير يحصل على مستوى الكلام من تقديم أو حذف يؤدي إلى تغيير في الدلالة.

وهناك فكرة هامة أشار إليها الجرجاني وهي فكرة الموقع والموضع وعلاقتها بالكلام فمتى أخذ مثلا الخبر موقع المبتدأ فهو يأخذ خاصية الابتداء بإضافة إلا انه خبر في أصله، وكذلك في حالة الحذف إذ يتخلى تمامًا عن هذا الموقع كما في حال حذف المفعول به.

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز، ص 126 – 127.

III- الفصل و الوصل:

شاع في كتب البلاغة بأنها معرفة الفصل من الوصل، إذ يعتبر هذا المبحث من أهم المباحث المساهمة في تماسك النصوص وارتباطها فلا يمكن أن نجد كلامًا إلا و فيه فصلاً أو وصلاً، وهو من أهم المباحث التي دُرِسَت في مجال اللسانيات النصية واعتمدت الربط بأدواته أهم وسيلة لإنتاج النصوص وتحليلها ويستهل الجرجاني كلامه عن الفصل و الوصل يقوله " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضهما على بعض أو ترك العطف فيها والمجئ بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي تمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص و الأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد"[1]

وحديث الجرجاني عن أهمية الفصل و الوصل، والفرق بينهما بحيث لا يكون هذا إذا كان ذاك لما يحدثه تركيب دون أخر من معاني تعد من أسرار البلاغة التي يجب الوقوف عليها للمعرفة ذلك، خاصة وأن كلاهما يرد لربط الكلام بعضه ببعض لكن متى يختار هذا دون ذاك ويرجع الجرجاني هذا إلى فن من المعرفة بذوق الكلام ولن تجد تمام هذا و صوابه إلا في كلام الأعراب الخلص.

- **العطف:**[2]

وقد تحدث الجرجاني عن عطف المفرد من أنه يشرك الثاني في إعراب الأول وفي حكم ذلك الإعراب.

أما حديثه عن عطف الجمل فضربين:

1 -أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب حتى تكون واقعه موقع مفرد

وإذا كانت الجملة الأولى واقعه موقع مفرد كان عطف الثانية جارياً مجرى العطف في المفرد والحاجة للعطف بالواو ظاهرة.

مثاله: ** مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح** أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى وذلك أنها في موضع جر بأنها صفة للنكرة

1- دلائل الإعجاز، ص 170.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 171.

2 ـ و الذي يَشْكُل فيه الأمر في العطف هو أن تكون الجملة عارية الموضع من الإعراب كقولك: ** زيد قائم وعمرو قاعد**.

ويفصل الجرجاني في هذا وذلك أن السبيل بين ربط الجملتين ليس الإعراب وإن تخلينا عن العطف فقلنا: زيد قائم عمرو قاعد، اختلف المغزى ويعرض هذا الإشكال في الواو دون غيره من حروف العطف التي تفيد مع الإشراك معاني مثل الفاء * لترتيب من غير تراخٍ وثم توجبه مع التراخي، فتظهر الفائدة منها مباشرة، وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت فيه الثاني الأول.

- **ويعلل الجرجاني الجملة السابقة:** زيد قائم وعمرو قاعد:[1]

1. أن يكون زيد وعمرو كالنظريين إذْ علم السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني وأن تكون هناك مناسبة بينهما إذا ذكر هذا ردف ذكر ذاك يعني هذا أن الربط بين الجملتين و المشاركة بينهما لا تكون فقط بالإعراب وإنه إذا عدم، عدم العطف بل توجد عوامل أخرى تبيح ربط الجملتين بعضهما ببعض ودلك أن يكون الشيء المتحدث عنه (المسند إليه)، في الجملة الأولى بينه وبين المتحدث عنه (المسند إليه) في الجملة الثانية مناسبة ويكون الأول كالنظير للثاني، ولذا عيب على أبو تمام قوله:

لا والذي هو عالم أن النوى   صَبُر وان أبا الحسين كريم

وذلك أن النوى لا تقع نظيراً لأبى الحسين ولا تقع مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين.

– ولذا فان كان من مبررات الربط بين الجملتين أن يكون المتحدث عنه في الأول بسبب من المتحدث عنه في الثانية، فكذلك يجب أن يساق هذا على الخبر فيكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه و النظير أو النقيض للخبر عن الأول وذلك أنك لو قلت: زيد طويل القامة وعمر شاعر، كان خلفاً لأنه لا شاكلة و لا تعلق بين طول القامة وبين الشعر.

وإنما الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر وزيد طويل القامة وعمرو قصير، وجملة الأمر أن الواو لا تجئ حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقاً ومضاماً له في الأخرى ولما كان زيد وعمرو كالنظريين أو الأخوين أو مشتبكي الأحوال كان الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس.

---

[1]-ينظر دلائل الإعجاز، ص 173.

وشبه الجرجاني في ذلك المعاني بالأشخاص و أورد هذا المثال: العلم حسن والجهل قبيح، لأن كون العلم حسناً مضمون في العقول إلى كون الجهل قبيحاً.[1]

– إذا تأملنا هذا القول وجدنا أن الجرجاني تطرق إلى قضية تخزين الذهن البشري لمعاني واسترجاعها فالأشياء المتشابهة و المتناظرة تكون مع بعضها و الأشياء المتضادة مع بعضها: " وهي إشارة كذلك قدرة الذهن البشري على إجراء تقابلات دلالية تقوم على السلب أو الإيجاب، و الإلحاق أو العزل وهي عملية تتم عبر كل إصدار لغوي أو تلقي لسلسة من الرسائل الخطابية".[2]

– ويتطرق الجرجاني في حالة العطف بالواو إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحد كقولنا: *

** هو يقول ويفعل ويضر وينفع...** لا يكون المعنى نفسه إذا تركنا العطف فقلت (يضر ينفع)، فيكون قولك (ينفع) رجوعاً عن قولك (يضر) وإبطالا له، على عكس المثال الأول الذي يثبت للمخبر عنه الفعلين معاً.

ويرى الجرجاني إذ وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة، ازداد الاشتباك و الاقتران حتى لا يتصور تقدير إفراد في أحدهما دون الأخر.

ومثل ذلك قول الشاعر:

لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

المعنى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد وُجد مع إهانتكم وجامعها في الحصول. وذلك أنه لا يشتبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد أي أن كلا الفعلين بعطفه على الأخر صح في كليهما أن يؤولا بمصدر، فالكلام في أصله كان ** لا تطعموا أن تهينونا وأن نكرمكم**.

- ولذا فحديث الجرجاني عن العطف وخاصة الواو باعتبارها الأصل في ذلك لشيوعها في الكلام وإفادتها عموم الاشتراك و الجمع، ولذا فهو تطرق للصعوبة التي تعرض في الوصل بالواو بسبب المعنى و المواضع التي تصلح لربط بها والمواضع التي لا تصلح لذلك.

ومن بين المواضع التي لا يصح فيها العطف في الجمل أن تكون الجمل توكيداً أو وصفاً.

---

[1]- دلائل الإعجاز، ص 174.

[2]- علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، 2010، ص 220.

* : أداء من الصلة ما يكون لموصوف اسمي أو حرفي يؤول بمصدر هامش الكتاب.

ويوضح ذلك قول الجرجاني: " كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لنا عن حرف العطف بربطها وهي كل جمل كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت إن حصلت لم تكن شيئا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد".[1]

بمعنى إذ كانت الجملة الثانية تقع في مقام الصفة والتوكيد و البيان للجملة الأولى كانت متصلة بها دون الحاجة إلى حرف عطف وأمثلتة كثيرة في القرآن وفي الشعر العربي.

وقد رأى صعوبة هذا الباب: (الفصل و الوصل)، وإن صعب الكلام في العطف وطلب المعنى الذي أوجبه مع وجود القرينة الدالة على ذلك (حروف الربط) فإن الحديث عن الفصل يصعب أكثر فيه طلب المعنى باعتبار أنه لا يوجد له مقابل لغوي ويكون الكلام متصلاً وعبر عن ذلك بقوله: وأعلم أن ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفي وأدق وأصعب، وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف، إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة.[2]

– ويرى جرجاني إنه قد يصح العطف إلا أنه يترك العطف لأجل المعنى ومنه أن ترى ترك العطف لأمر عرض، في الجملة الثانية صارت به أجنبية مما قبلها:[3]

– ومثاله قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[4] الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ** ﴾ وذلك أنه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ما جاء معطوفاً من قوله: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾[5] وما أشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر ثم أن قد جاء غير معطوف وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف وهو أن قوله: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ** ﴾ حكاية لقولهم وليس خبر من الله أن يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإذاكان كذلك كان العطف ممتنعاً لاستحالة أن يكون ما هو خبر من الله معطوف على ما هو حكاية منهم.

---

[1]- ينظر، دلائل الإعجاز، ص 175.
[2]- المرجع نفسه، ص 178.
[3]- المرجع نفسه، ص 178.
[4]- سورة البقرة، 15.
[5]- سورة البقرة، 09.

– وخلاصة الأمر أن مواضع الفصل والوصل تكون حسب الغرض و القصد و على المتلقي أن يراعي هدا الجانب أثناء التأويل.

– كما نشير أن كتب النحو تشير إلى ارتباط باب الفصل و الوصل بالتقديم و التأخير، خاصة فيما يخص العطف بالواو.

– وذلك في قول أحد الدارسين: " واو العطف ترتبط بالتركيب لإفادة معانٍ إلى جانب العطف – كما سبق في معنى الجمع – وقد يكون لتركيب دلالة على الترتيب إذا ما جاءت به القرائن اللفظية و المعنوية التي تعين على ذلك".[1]

يعني قد يستفاد من الربط بالواو معاني التقديم و التأخير حسب قصد المتكلم أو حسب السامع يعني أن المقام أو الحال هو الذي يفسر إن كان في الكلام تقديم أو تأخير.

وفي الأخير يمكن أن نقول إن باب التقديم و التأخير والحذف و الفصل و الوصل هي مباحث تساهم في سجم النص ودقة معناه و التفقه فيها ضروري لمن أراد خوض غمار التأويل و التفسير

وهذه المباحث تختص بقيمة الموضع و الترتيب في الكلام بحسب القصد و الاختيار.

فالتقديم و التأخير يؤدي اختلاف الرتبة إلى اختلاف المعنى وفي الحذف يحذف الشيء وموقعه.

وفي الفصل و الوصل يكون اختيار الواو في غير موضعه مخلاً بالمعنى.

[1]- دلالات الواو { في النص القرآني}: عيسى شحاتة عيسى، دار الأفاق العربية، ط1، ص 2014، ص 84.


خاتمة

نستنتج من خلال بحثنا المفاهيم النصية النقاط التالية:

1. تفصيل الجرجاني في الحديث عن النظم معتبرا إياه الأداة المهمة في تأليف الكلام وتحليليه.
2. انطلق الجرجاني من فكرة مفادها أن النص القرآني معجزا بنظمه
3. اعتبر الجرجاني النظم معيارا يتميز به صحيح الكلام من فاسده ،وصحيحه من جيده ،فبالنظم تتمايز الدرجات حتى يصل الأمر إلى الإعجاز.
4. النظم مصطلح يتوافق كثيرا ومفهوم الانسجام في اللسانيات النصية ومن الأدوات التي تحققه الربط النحوي (التعليق) الذي يتوافق ومفهوم الاتساق.
5. النظم في الكلام نظير للترتيب والتأليف والتركيب ،والصياغة والتصوير والنسج والتحبير ،مع العلم أن كلمة نسيج في اللغة اللاتينية تعني نص .
6. النظم عند الجرجاني هو نظرية للنص العربي مهما كان نوعه(شعر، نثر، قرآن).
7. الناظم والكلام والسامع أو القارئ مصطلحات أوردها الجرجاني لها مقابلات في لسانيات النص وهي المبدع والنص والمتلقي .
8. القصد (الغرض) يعد أهم عامل يساهم في ربط النص وانسجامه، وهو يتقارب ومفهوم البنية العميقة.
9. الحذف والفصل والوصل والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير ما هو إلا ترتب الكلم وفقا لترتبها في نفس المتكلم.
10. يعمل المتكلم على التأثير والإفادة وضبط المعنى وكلما كان هناك زيادة في التأثير كان هناك تفاضل في الكلام .
11. الابتداء وهو مصطلح نظير الإبداع والأسلوب التميز الانفراد السبق الاهتداء لشيء لم يكن قبله ولا يصح إن يأتي بعده لان الذي يأتي بعده يسمى تقليدا.
12. من المصطلحات المتعلقة بالمتكلم حسن التخير ويتأتى له هذا من المعرفة بالفروق والوجوه بالإضافة إلى معرفة مواضع الكلم ومواقعها المناسبة.
13. الصورة أو الصنعة التي ينتهي إليها نظم الكلام على تلك الصورة الفضل فيها يعود للناظم ،وذلك لأنه يستعمل معارفه اللغوية بإعمال فكره وذهنه أثناء تعليق معاني الكلم مراعيا في ذلك معاني النحو.
14. على المتلقي أن يكون عالما بالنحو محققا للقول .

15. الأريحية مصطلح يدل على الانطباع الأولي من استحسان وقبول وإعجاب لما يتلقاه المتلقي .
16. تحصيل المزية أمر يرجع إلى المعاني وطلب الفهم مع إعمال الفكر والروية للوصول إلى المراد من الكلام .
17. المعنى ومعنى المعنى مصطلح المقصود ب ه عدم كفاية دلالة اللفظ وحده لإدراك المعنى بل تفضي بك دلالة اللفظ إلى معنى ثاني هو المقصود.
18. أن يكون المتلقي من أهل الذوق و المعرفة وهما أمران يتحكم فيهما الخبرة وسعة العلم.
19. الغموض والتعقيد(التعب في الفهم) وتعدد القراءات والتأويلات أمر قد يعرض لكبار العلماء فلا يتفطنوا له .
20. تغيير الرتبة (التقديم و التأخير) من بين عوامل الربط عند الجرجاني وقد يتحكم فيه سياق الحال أو قصد المتكلم.
21. الشيء المقدم في الكلام يدل في العموم على الاهتمام والعناية به.
22. التقديم و التأخير والحذف والفصل والوصل مباحث هامة في التفسير والتأويل والإعجاز.
23. الشيء المقدم مع همزة الاستفهام ينحو به المتكلم للإنكار.
24. أي تغيير في ترتيب نظم الكلام يؤدي إلى تغيير في المعنى واكتشاف مواضع التقديم والتأخير يدل على كفاءة المتلقي.
25. الهمزة تحتل رتبة الصدارة ومن ثم تقوى مكانة التقديم وتبرز معها واختيار الجرجاني للاستفهام بالهمزة لأنها الأصل فيه ولشيوعها في القرآن.
26. حذف المبتدأ مطرد في كلام العرب خاصة في القطع والاستئناف.
27. حذف المفعول يحدث تأثيرا بالغا في الكلام لا يكاد يتفطن إليه.
28. يستحسن ذكر المفعول بعد فعل المشيئة إذا كان مما يكبره السامع .
29. البلاغة معرفة الفصل من الوصل والإشكال يقع في العطف بالواو.
30. الربط بالواو في غير موضعه يخل بالمعنى.


المصادر والمراجع

1 – الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، محمد عباس، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999.1420م
2 – أدبية النص محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي، صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، د ط، 2002
3 – الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري، شوقي علي الزهرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت
4 – الانسجام في القرآن الكريم، لخلف نوال، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، د ط، 2012.1432
5 – بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1996
6 – بناء النص، رتسيسلاف واورزنياك، تر:سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 2003.1424
7 – التحليل اللغوي للنص، كالاوس برينكر، تر سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار القاهرة، ط 2 2010.1431
8 – التعلق النصي، عمر عبد الواحد دار الهدى للطباعة، ط1، 2003
9 – التلقي والإبداع قراءات في النقد العربي القديم، محمود درابسة، دار جرير للطباعة، الأردن، ط1، 2010
10 – دلالات الواو في النص القرآني، عيسى شحاتة عيسى، دار الأفاق العربية، ط 1، 2012
11 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح:محمد عبده و محمد محمود الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
12 – ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، د ط، د ت
13 – علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ديوان الوطني المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010.
14 – علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط1، 2000.

15 -علم لغة النص مفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار القاهرة، ط2، 2010.

16 -في اللسانيات النصية ونحو النص ، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة، الأردن، د ط، 2007.

17 -لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003ج1، ج2، ج12

18 -لسانيات النص، محمد خطابي، مركز الثقافي العربي، المغرب ط2، 2006.

19 -المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، جدار للكتاب العالمي، ط1، 2009.

20 -معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان: ط5، 2011، ج2.

21 -المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية د ط، د ت، ج2.

22 -المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، المكتبة الإسلامية، تركية د ط، د ت، ج2.

23 -مقالات لغوية (أثر القرءان في الدراسات اللغوية)، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، د ط، 2009.

24 -النص الشعري القديم بين آليات إنتاجه وجماليات تلقيه، سعيد بكور، عالم الكتاب الحديث، الأردن ط1، 2013.

25 -النص والخطاب والإجراء، تر:تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، ط2، 2007.

26 -نظرية النظم، صالح بلعيد دار هومة، الجزائر، د ط 2004.

المذاكرات :

27 -أم الخير بن الصديق، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية لأقسام السنة 2 ثانوي ـأداب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ورقلة، 2007.

المقالات :

29-مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز(مقال)، سمية ابرير، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة كلية الآداب ،العدد التاسع ،2011 .

فهرس المحتويات